

تاريخ نجد في
عصور العامية
٥

ديوان الشعر العامي بلمحة أهل نجد

تأليف: أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

دار العلوم
للطباعة والنشر
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

صوره الفقير إلى عفو ربه :
أحمد العنقري
twitter : ianqri

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة
لدار العلوم للطباعة والنشر
ص. ب. : ١٠٥٠
هاتف: ٤٧٧٧١٢١ - ٤٧٧١٩٥٢
الرياض - المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م

فهرس إجمالي

الموضوع	الصفحة
١ - المقدمة :	
— صور من البيئة	٩
— دلالة الشعر العامي على اللهجات وما أثير من الشك حول تغيير الرواية أو انتحال بعضه	٢٠
— دلالاته التاريخية	٢٦
— تأييد تسميته بالعامي	٣٨
— اللحن الشيباني	٣٩
٢ — الكناية والمبالغة في الأدب العامي	٤٧
٣ — من أخبار الشرارات	١٠٩
٤ — من شعر ابن غازي	١٢١
٥ — نصوص عن البيئة	١٣١
٦ — مختارات من الشعر العامي	١٦٩
٧ — ثبت بأسماء المصادر	٢١٥

- ١ -

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فهذا هو السفر الخامس من موسوعي (ديوان الشعر العامي) وسأستمر إن شاء الله في تدوين ما وصل إلي مما لم يدون من هذا الشعر مع إعادة ضبط وتخراج ما دون.

وربما راوحت في المنهج فجعلت سفرًا عن شعراء الواحدة، وسفرًا عن ظاهرة أدبية كبكاء الحليّة أو وصف الأنواء.. الخ.

وسفرًا عن مختارات من الشعر العامي مع الاستمرار في هذه المراجعة على منهجي السابق وهو أفراد كل سفر بشاعر أو عدة شعراء.

وفي جميع أنحاء هذه الاتجاهات فلن يكون للتكرار مجال إن شاء الله في هذا الكتاب وإنما سأكتفي بالإحالة إلا في حالات يضطرنني منهج البحث فيها إلى التنصيص.

وسأستمر بحول الله على استدراك كل ما يفوتني بآخر كل سفر، كما سأستمر على التقديم لكل سفر عن ظاهرة من البيئة العامية والأدب العامي والفنون الشعبية.

وبعد استكمالي لجميع أسفار الكتاب ربما سنحت الفرصة لزيادة من التنقيح بحيث أؤحد مقدمات الأسفار في أسفار مستقلة منسقة، وأضع كل مستدرك في مكانه من الكتاب وأرتب الشعراء برابطة معينة إما بالحروف

الأبجدية أو حسب القبائل والبلدان أو حسب الخصائص أو حسب الترتيب الزمني مع طموحي إلى استخراج معجم بعامية أهل نجد مع فهارس فنية بالأعلام والأمكنة واللغة والموضوعات والمعارف والإضافات التاريخية .

ولقد مرت مقدمات الأسفار الأربعة ولم أتناول فيهن شيئاً من أمور البيئة إلا ما ورد بالسفر الرابع عن بعض مصطلحات السلم والحرب، وإنما أرجأت أمور البيئة لأنني رهنّت كتابي (هموم عربية) أحد أسفار كتابي (الفنون الصغرى) لشرح هذه الظاهرة.

وسأتناول إن شاء الله في أسفار ديوان الشعر العامي لمحات عن البيئة لم أتناولها في كتابي هموم عربية .

فمن تلك المظاهر البيئية أن العامة لشدة عوزهم لا يكادون يجدون الكبريت ولهذا يجتمع الحضر في القرى والمدن صباحاً عند بيت الحداد ليقبسوا من ناره بقطع يابسة من روث الماشية أو بسعف أو بخشب أو فحم .

ومن تلك المظاهر (مشب الجماعة) فلا يكاد كل واحد يملك أدوات صنع القهوة من دلال وهاون ومحماس . . الخ .

فكان للجماعة في القرية مكان مكتمل الأواني يجتمعون فيه ويحمل كل واحد بالتناوب مادة القهوة معه من بن وهيل وسكر . . الخ .

وأحياناً يقوم بيت الأمير أو الشيخ أو الوجيه مقام مشب الجماعة فكان كل واحد من قحطان - على سبيل المثال - يقد على الشيخ ابن هادي ومعه قهوته ليكرم بها السمار وكان قائلهم يقول: زقف المبرد يا ابن هادي!! .

أي ناولني المبرد لأضع فيه القهوة، والمبرد إناء منسوج من الخوص تبرد فيه القهوة وتنقى بعد حمسها .

وقد صار الحاضرة ينكتون بهذه الجملة وينطقونها هكذا: (زق ف المبرد).

ومن مكملات الأنس مع القهوة الدخان لاسيما عند البادية وزعمائهم والدخان شحيح عندهم فكان هناك محتكرون يدخرونه وكان الفنجان من الدخان يباع بكسبة.

والكسبة ناقة يغنمونها في الإغارات فيعطونها بائع الفنجان، وهم يستهلوكو الفنجان في جلسة واحدة.

وكان الحميدي نزل بإحدى القرى فنفذ دخانه حتى أخرج أهل القرية فجلبوه له من المدينة بأعلى الأثمان فلما رأوا تطاير الدخان من أنفه قالوا: صم خشمك يا الدويش فليس كل لحظة عندنا فنجان!.

وربما احتكروه للضيف رغم حاجتهم إليه.

وربما احتكرته النساء فقد قرأت في كراسات الشيخ منديل^(١) أن الشرب اجتمعوا في بيت شيخهم وليس معهم دخان ولا يوجد عندهم في الحي.

فقلت بنت الشيخ: عندي دخان لم أدخره لطمع وإنما أدخرته لمن قال بيتين يصيب فيهما ما أهدف إليه في نفسي.

فقال أحدهم:

ياما حلا كيف الشامى واناسه مع جادل مصيون ضافي لباسه^(٢)
الجادل اللي كن عجات راسه مسك يجينا مع ردود الحجيج^(٣)

(١) سترد الأبيات في نص الدجيلي، وقد نشر بعضها بمجلة الفن الكويتية عدد ٢٧٢ في ١٣٩٧/٣/٢٣ هـ.

(٢) في مجلة الفن: ما قيل تظهر حساسه.

(٣) في المجلة: المسك والريحان يجدع براسه.

وقال الثاني :

ياما حلا كيف النشامى وفنجال
من قبل ما ياتيك قصاف الاجال
ومقابلك من تلح الارقاب مكسال^(٤)
مفاجات من لا باول العمر فيجي^(٥)

وقال الثالث :

يا ما حلا كيف النشامى بغليون
وانا عليها بين طاعن ومطعون
وصفرانهار الكون الى جوا يعنون^(٦)
اقصر رسنها عن توالي الهجيج^(٧)

وقال الرابع :

ودك تسوي حومة الطير فنجال
اخير من ربع بخال على المال
لعاد مالك حاجة تلتهي به^(٨)
مال بلا معروف لوزاد خيبة
ياعنك لو تجمع طوابير واموال

وقال الخامس :

ودك توافي وقفة الظل رجال
اليا فرش لك باوسط البيت بظلال
ياما حلا جمع الحبيب لحبيبه
والكل منهم مشفي عقب غيبة

وقال السادس :

ودك ادني طلعة الشمس مشوال
جوننا السبور وظهروا له هل المال
لاجوا على الحروة وواق الرقبة
واهل الرمك بين رداها وطيبة

(٤) في المجلة : مع تلح .

(٥) في المجلة : الله على من قبل قصاف .

فيجي : فوجيء .

(٦) في المجلة : بن يعملون . ولعله تطبيع .

(٧) في المجلة : عند تالي .

(٨) حومة الطير : آخر الضحى حيث يخلق ويحوم لأن الجو أبرد له .

اخير عندي من موافاة رجال لا نثرت فوق المناكب سبيه
فكان الدخان من نصيب الأخير لأن أمنيته الشجاعة لا النساء.

ومن الأعراف اللغوية عند البادية ما حدثني به الشيخ منديل الفهيد
أن البادية تعبر بثلاثة ألفاظ عن ثلاثة من الرجال هي :

١ - اللاحق وهو من تبع طريق أهله وفعل فعلهم .

أي لم يتفوق عليهم ولم يقصر عنهم كعقاب بن شبنان بن حميد .

وربما زاد عليهم كمحمد بن هندي .

٢ - السابق، وهو العصامي الذي سود نفسه بنفسه كشليويح
العطاوي ولافي بن معلث .

٣ - ما حق وهو من قصر عن فعل أهله .
وأرفع ملاذ الحياة عندهم السمر والقهوة .

قال أحمد الشرابي :

والبيت بانيه على شان هرجة وفنجال بين اضيافنا والربوع
ومما تلهج به العامة الكرم مع الفقر والاكتفاء بالقليل وتحمل الدين
لبذل المال في حقوقه الاجتماعية .

وعلى هذا شواهد كثيرة منها قول علي بن محمد السليمانى من أهل
القرائن يخاطب امرأة تمت رؤيته فلما عاينت مظهره زهدت فيه :

يا بنت مالي عندكم قابلية	ولا نيب من يعشق الى جامع السوق
انا متى ما النذل يبست شفيه	واستسهل الخايب ذرا كل طاروق
عندي لذر بين الشوارب تحية	وسلام احلا من لبن عطف النوق
ان حشت شي فرقنه يديه	والى عسرنا النقد ناخذ بمفهوق

وقال ابن ونيان من أهالي فيضة السر^(٩):

يا مظهر العشب الخضر بالرشاش	يا الله يا اللي سايله ما يمله
متحير قلت عليه المواشي ^(١٠)	تفرج لمن كنه على صلو ملة
وسويت ما يبرد لهيب بجاشي	لا ضاق صدري جبت نجر ودلة
كنه خضاب معورجات النقاش	بكر على بكر مصفا نزله
وقولة هلا مع ضحكة بانهاش	تعبا لضيف عاني من محله
ومر على الشامية أم الغشاش	مريمانية وهيل نزله
ومر نهرها ومر بلاشي	مر هشيم ومر نوقد بجلة
نصبر على ما كاد والرزق ماشي	ومعبرين كل وقت بحله
كنه على درب المراحل يهاش	يوم ان ولد اللاش همه بظله

وقال الشيخ مقبل بن هريس يخاطب شاعراً من جماعته الشلاوى وهي مما وجدته بكراسات الشيخ منديل:

متى طلعتوا يا طوال العناجيل	مثل السليمي رميها عند اثمها ^(١١)
مر نهرها بجوز من الهيل	ومر نخلي طبخها من عدمها

وقال ذعار بن مشاري بن ربيعان:

ذالي ثلاث سنين من ضيق في ضيق	وقت الهالالي والطعام معدوم
نمسي على الخمرة ونصبح على الريق	ونهبوش دون وجيها بالعزوم

(٩) نشرها الأحيدب في التحفة ص ١٢٧ وحدثني بها ثقة من أهل الدوادمي .

(١٠) أحفظ هذا الشطر هكذا:

متحير ما شاف عنده مهاش

(١١) العناجيل: جمع عنجول وهو الغليون .

وقال محمد الخرشيد العنزي يمدح أهالي أبا الدود بالأسياح
وما شاهده من كرمهم واحتفائهم بالجار، وهي مما سمعته من إبراهيم
اليوسف ونقلته من كراسات الشيخ منديل:

وجدني على اللي كل يوم جديدين	من دونهم حالت نفود الزبيرة
اخوان شما حزة العسر واللين	سكان أبا دود قصيره حشيره
ان جاهم الخاطر تقول متواصين	كل على الثاني يبتة بجيرة ^(١٢)
يقلطون الحيل فوق المواعين	اهل النداء لاجت سنين عسيرة
ياما نصاهم من ضيوف مقلين	لاجت ليال الصيف من كل ديرة
بزروعهم كن الضعافى خشيرين	هذي لهم من بنية القصر سيرة
لاكمل الماجود جابوه بالدين	دون الوجيه يدورون الستيرة

وقال أمير بقعاء السابق عبيد الأسعدي كما في كراسات الشيخ منديل
عن فقر مر بهم فكانوا يخفون الطعام عن عيالهم مدخريته للضيف الذي
لا يعذرهم وفي ذات يوم كان عنده ضيوف ولهم مدة عن الطعام فوضع
للضيوف ما ادخره من طعام وهو عيش بدون لحم فسمع رجلاً من جماعته
يقول هذا من عين ما فقال هذه الأبيات يعتذر ويبين حالته:

عشرين ليلة ما هوى كبدي الزاد	والله ما اخبر داهج كبدي العيش
دنيا نجاهدها من القل بجهاد	نهوش دون وجيها هوي بالهوش
نتبع سلوم اجدادنا سلم الاجواد	غير الصخاندرى سواف هل الجيشر

أما العقوق والبر فقد ألف أبو عبيدة كتاباً مطبوعاً عن العققة والبربرة
وذكر نماذج كثيرة كلامية أمية بن أبي الصلت المشهورة.

(١٢) يبتة: يحلف بالطلاق على الضيف كي ينزل عنده.

والنماذج للعقوق كثيرة في الأدب الفصيح ولم يمر بي في العقوق سوى عتاب جحيش السرحاني لحفيده، وقد أوردت قصيدته في أحد أسفار هذا الكتاب.

وسمعت من أشياخنا العوام أن أحد البادية المتحضرين بشقراء كان يرمي والده بالحجر فإذا انحرف الأب عن الحجر قال الولد:

ول عود ما أروغك؟!!

قال أبو عبد الرحمن: نعوذ بالله من الخذلان.

وهناك قصيدة لابن جعيش نظمها على لسان أم تخطب ابنها العاق.

قال ابن جعيش:

لفاني كتابك يا سراج نظير	عيني والدمع عليه نثير
لفاني وقبلته على الراس حشمة	وبشرت من لي صاحب وعشير
كته قميص ليوسف يوم جابه	لابوه من بعد الفراق بشير
يوم جابه البشير وشمه	فتح وهو من قبل كان ضرير
خيار ما به كلمة سرنى بها	بقوله حق الوالدين كبير
عساك تذكر حقهم لا عدمتك	ويجعل خيرك ما يزال كثير
حملتك تسعة أشهر في شواكلي	والبطن منى ماقع وجفير
حملتك في كره وكره وضعتك	او وسعت لك حضني وصار سرير
وارضعتك حولين من در مهجتي	وارعاك رعي عن طريق خطير
ايبك لعازات الليالي ذخيرة	ما ايبك تشفع لي بيوم كبير
يوم بلغت الرشد وابصرت-نفسك	وقدري غدا عند الرجال حقير
قلطت بنت الناس وانا نسيتهى	وحطيت فوقى بالولات حقير
خف الله ما قبلك حد بعدامه	وقلط بنت الناس كيف يصير؟

ولا تامن الدنيا مداه قصير
وهن فيهن للبصير نذير
واجعل لهم منك الولات يسير
وقل رب ارحمهما كما ربياني صغير
يحاسبك فيها منكر ونكير
دعيت بلساني عليك كثير
عليك والوالد عناه كبير
ثمانين حجة ما بلغت عشير
الى قام قلبي من حشاي بطير
يهذب بسيف من الحديد طير
ولا ظني ارجيه يعود صغير
ولابه من امور الرجال بصير
واذوق نفعه قبل ازور حفير
علي فان الله عليه قدير
وترد يا ابني والعدو حقير
ما لاح براق وما حفر بير (١٣)

خف الله ودع عنك ما مضى
خف الله واذكر آيتين نسيتهن
ما قال الله لا تقل لهما اف
واخفض لهما جناح الذل منكم
خف الله واذكر حفرة مدلهمة
تراك لما غثيتني واغضبت خاطري
ما هوب بغض ولكن شرهه
تراك لو حجيت بي فوق راسك
ولا يجازيني من الطلق ساعة
وصدري يهذب بالحديد لكنه
ولا عاد في بطني ولا عاد في ظهري
الا انت واخوك بزر جاهل
ميرانني راجيته يحظى بكبرتي
وارجي الذي وداك يرجعك سالم
ويرزقك رزق واسع ما حسبه
وصلوا على سيد البرايا محمد

على أنه روي عن البدو أنهم يتركون المجدور والمسن في المكان الذي
يرحلون عنه ويتركون عنده شيئاً من الزاد، ولهذا تجد في تشبيهات الحضرة
قولهم: فلان عود بدو طاح في المراح.

قال عبد الجبار الراوي:

وينقل أن رئيساً من رؤساء العرب ابتلي بالجدري فترك وحده مع
كلبه ورحل عنه أهله فخاطب كلبه واسمه شير بقوله:

(١٣) الأزهار النادية ٨/ ٨٨ - ٩٠.

هلك شالوا على مكحول يا شير
 لا تبكي بكل الدمع يا شير
 هلك شالوا على حمص وحماة^(١٤)
 وقال عبيد بن حمود الأسعدي عندما طعن في السن يعتب على
 أولاده:

لا والله اللي دويحن الليالي
 اقفن ولا خلن للاجواد تالي
 واقفن بشيمات العرب والمرواة
 الاذنانة واحد وين ابا القاه
 داست صناديد العرب بالنعال
 وطتهم الدنيا والايام عدلاة
 العفن صارت كبر ابانات عليه
 العود عند الناس ماله جلال
 ويمشي بلا رفق كثير الحلال
 ويثار عن وجهه وتسمع حكاياه
 هذا زمان فيه قطع العقل
 الرحم هو والجار ما عاد له جاه
 والوالد اللي حشمته والجلال
 فرض رخص عند اكثر الناس طرياه
 قاله نبي الله صدوق المقال
 في تالي الدنيا لكع طال مبناه
 يا العود لا تسعى لجمع الحلال
 لا صار عند الكبر تسفه حكاياه
 لعل من يرث حلال لتالي
 لا يلحق الاول ولا يلحق اتلاه
 يشرب قراطيع من الشري قالي
 حفنات مكروه صباحه وممساه
 العود يوم انه يجيب العيال
 يبغي بتالي العمر سجة وطرباة
 كبر الولد دلي يلم الحلال
 طاع المرة والعود له سبع كوباة
 تمت وصلوا عد وبل الخيال
 على نبي عز للدين راية^(١٥)

ومن البررة شاب شكى له والده سوء معاملة زوجته له، وكان
 للابن زوجتان.

(١٤) البادية ص ٣٢٧.

(١٥) من آدابنا الشعبية ١٤٢/١ - ١٤٣ ونشر منها لويحان في رواثه ص ١٧٣ خمسة أبيات.

قال الأب :

الا يا ولدي وان غبت جفني
اريتك بعد زدت المواطي بثالث
ايك توصا بي بحي يروف بي
فأجابه الولد بهذه الأبيات :

علامك كفيت النار ضيقت خاطري
ما دمت حي لك على راس مرقب
دينتني دين وانا ميسر به
بقولك كني في قلب موايق
طويل الذرى عسر على كل وايق
وكل فتى ما يوفي الدين بايق
فعند ذلك طلق نساءه وتزوج غيرهن وذلك إكراماً لوالده^(١٦).

ومن البررة المشهورين ذيب بن شالح بن هدلان .

ومن البررة الجليلف وله قصيدة مشهورة في التحرق على والدته عندما
خرجت من بيته إلى بيت أخيه الصغير.

ومما ورد في البر قول شاب أرادت منه خطيبته أن يخرج عن بيت
والدته فقال^(١٧):

ما تشوف مسلوب الحشا مرسل لي
ان كان ما صيد الحبيب تغل
امي الى شافت خيالي تهلي
رسالة تجعلني اصخر بفرقاه^(١٨)
ما اقبلك يا المرسول لا انت ولا اياه
والا الغضي لا شاف غيري تحلاه^(١٩)

(١٦) روائع من الشعر النبطي ص ١٧٤ .

(١٧) نشرها الراوي في البادية ص ٣٢٢ - ٣٢٣ وسمعتها من الشيخ منديل .

(١٨) عند منديل : علمت مسلوب .

وعند الراوي : مرسل من الترف تسخي بفرقاه .

(١٩) عند الراوي : امي لو شافت . . وانقرز على المتين واقول ياياه .

ما انسى سنين ديدها سقمة لي اركب على المتنين واقول ياياه (٢٠)
دون السنة ويطنها حجرة لي البرد ما اشوفه والحر ما ادناه
امي وابويه مالهم غير ظلي ومن دور الظل يا ترف يلقاه (٢١)
السوالدين لهم بقلبي محل معروفهم مع طول الايام ما انساه
ومع إيمان شيخنا حمد الجاسر بجدوى الشعر العامي في الدراسات
اللغوية والتاريخية والبلدانية فقد سمعت منه كثيراً أنه لا يرتاح إلى دلالة
على لهجة القبائل لتغير ألفاظه في أداء الرواة، ولتدخل بعض الرواة في
تغيير اللفظ تعمداً مع بعض الإضافة إليه. وحيال هذا أطرح بعض
الملامح:

أولها: الشعر العامي صنو الفصيح في تغير اللفظ عند الأداء
إما للنسيان أو للتعمد وهذا نادر.

لكن هذا لا يعني إلغاء دلالاته، وإنما يعني الجدل في تمحيصه
بالاستكثار من روايته بألفاظ مختلفة ثم يرد إلى ما عرف من لهجة الشاعر
ويرجح بما رواه الجمهور ويرجح بضبط الراوي وثقته، ويرجح برواية جماعة
الشاعر من أقاربه وقبيلته وأهل بلدته.

والشعر وسيلة لتسجيل اللهجات للخلف وليس وسيلة لتحريرها من
كلام السلف، لأن اللهجات العامية لا تزال ماثلة.

وإذا فخرة الدارس بلهجات القبائل والقرى أداة علمية بيده
يستعملها في الترجيح بين الروايات (٢٢).

(٢٠) عند الراوي: وثلاث سنين وديدها غدوة لي.. وكم ليلة هي عن الزاد قزاه.

(٢١) هذه رواية الراوي ويستقيم الوزن لوقال:

والي يبي يا الترف يلقاه

(٢٢) للشيخ عبدالله بن خميس لمحة موجزة عن اللهجات بمجلة العرب س ١١ ص ٦٤١ -

وثانيها: أن ضرورة الوزن والقافية تحتّم أحياناً إثبات اللهجة وتحتّم أحياناً الخروج عنها.

فمن الأول قول شليوبح العطوي:

يا عنك ماردوا جزانا علانا ف ابغار يوم ان البريهي يسريه
ما شفت علوى يوم جوافي نحانا كن الدبى مركيهم يوم احليه
تشرن دميهم من يدانا والطير ابو جنحان منهم نعشيه
فمن اليسير على الراوي الحضري أن يروي الشطر الأول هكذا:
علينا. . يدينا.

ولكن بقية الأبيات لا تساعد على هذا التغير كقافية (نحانا) فبقيت لهجة عتبية في هذا الموضع مصونة بضرورة الرواية لا باحتمالها ومن الثاني قول العوني وهو قصيمي:

خلوج تجذ القلب باتلى عوالها. . إلخ.

فليست هذه لهجة أهل القصيم^(٢٣) ولكنها ضرورة القافية.

وبهذا تعلم أن اختلاف اللهجة ليس من عمل الراوي دائماً.

وثالثها: أن التغير في الألفاظ وارد وقد قلت إنه يمكن معرفة ما قاله الشاعر بنصه يقيناً أو رجحاناً استثناساً برواية الأكبر أو الأوثق أو الأخرى مع مرجحات الوزن والقافية.

وكذلك التغير المتعمد والحذف والإضافة يحصل تعمداً ولكن لأسباب معروفة والرواية الصحيحة باقية عند الخاصة كقصيدة حميدان الشويمر في هجاء بعض أهالي القرى يطمرها بعض الرواة في المحافل.

(٢٣) مجلة العرب س ١١ ص ٨٤٤ وبلاد القصيم ٨٢/١.

وكذلك بعض الناشرين وبعضهم يترك مكانها بياضاً، وبعضهم يروي الهجاء مديحاً لأجل ما أدخله الرواة من تغيير، ولكن الرواية الصحيحة محفوظة متداولة.

ومثل ذلك القصائد التي تتناول هجاء أمير أو حاكم أو قبيلة.

ومن ها هنا أعرج على قضية الانتحال والتوثيق التاريخي فأقول بإمكان أي شاعر عامي اليوم أن يقول قصيدة ينحلها شاعراً كراكاب بن حثلين أو العوني ولكن من المستحيل أن يخفى انتحالها، لأننا الآن لسنا في دور تصيد رواية عزيزة نادرة وإنما نحن في دور تدين رواية مشهورة فمن المستحيل أن ينسب لعبدالرحمن البواردي ما لا يعرفه أهل شقراء أو ينسب لتركبي بن حميد ما لا يعرفه أهل عالية نجد بادية وحاضرة.

نعم يمكن أن ينسب لابن سبيل ما هو للمجماج، أو أن ينسب لضيف الله بن حميد ما هو لابن عمه عباس بن علوش، أو أن ينسب للصغير ما هو للسعدي . . إلخ.

إلا أن تداخل الرواية غير انتحالها.

ولست أعرف في الشعر العامي المنسوب لقائل معين ما اشتبه في صحته وهجس في الخاطر انتحاله.

وشعراء العامية اليوم كثيرون، وسوق الشعر العامي رائجة ولكن لا يستطيع واحد أن يطبع قصيدة واحدة يصنعها وينحلها غيره من القدماء وإن كان مع شاعريته من خاصة الرواة لأن هذا الشعر ثقافة مشتركة، ومن لا يحفظ القصيدة يحفظ شيئاً منها أو يتذكر معانيها أو مناسبتها، ولكن من المحال أن يكون ما عند الواحد مما لا يعرفه أحد.

وإذا كان الشاعر يشح بتنحيل شعره غيره يوم كان الأدب العامي هو الأدب الرسمي فإن السوق الرائجة اليوم للشعر العامي القديم دون

المعاصر، وتكثر الراوية الشاعر بالشعر المتحلل أريح له، ولكنه لا يستطيع ذلك، لأن ما سيدونه ويرويه إن كان صحيحاً فهو معروف والرواية لا تزال ماثلة والراوي الآن لا يقوى على رواية قصيدة لا يروها غيره مع أن الرواة لم ينقطعوا بعد.

وعند العامة قصص تسمى (سباحينا) وفي عقيدتهم أن القصيدة لا تصح إلا إذا توجت بقصيدة ولهذا يرد في السباحين أبيات لا يعلم قائلها منها ما هو من الشعر العامي القديم الذي لم يعرف قائله ومنها ما هو متحلل إلا أن هذا ليس مجال شك عند الرواة.

أما ما نسب لقائل معين فمن المحال أن يكون متحلاً ولا يخفى، ولهذا كان المتحلل لا ينسب لقائل.

ولا أعرف شعراً متحلاً نسب إلى قائل غير معين سوى حوار كاد ينطلي على المتأخرين لأن صانعه الشاعر المبدع عبدالله اللويحان.

قال متع الله به:

ومما قاله شاعر من شعراء سليم وهو صغير السن واسمه مسلم، وكان يروح مع جارته يرعون في البر أغنامهم وكان هناك رجل يدعى مضحي يجيهم وقت العشاء للتحدث مع محبوبته المذكورة، ومسلم أنكر منه كثر مجيئه لمكانهم والجلوس معهم فلما انضجع مسلم كأنه من النوم قالت المرأة يا مضحي قم شف القذات التي بعيني فقال: نخشى من النوم قالت تعال ولا توان، فأرخت اللثام فقبلها تقبيلاً تاماً في جنح الظلام فرآه ذلك الشاب الهمام وقال في الغد الباكر عند حلقة اللعب والمراد هذه القصيدة:

قال مسلم :

الله يعافيك يا مضحي وفي شوفك يقديك
يا اللي تشوف القذاة اللاجية بالخرمسية (٢٤)
وراك ما خفت مني يوم انا قاعد وراعيك
تشرب على عقلة قدام تاردها زكية

قال مضحي :

ياورع سدي معك لياك تخمل في ابن اخيك
مثلك الى شاف درب الخاملة يستر عليه
انا ولد عمك الداني واعادي من يعاديك
وش خانة اللابة اللي ما يجي فيهم حمية

قال مسلم :

أدمح لك اللي مضى واللي بقى مانيب واقيك
لا يا من الصاية من شد حد النافعية

قال مضحي :

الى دمحت الذي فايت فانا مانيب خاشيك
الستر عند الذي يمن خوي من خويه (٢٥)

قال أبو عبدالرحمن : قبل أن ينشر لويحان هذه القصيدة بسنين
سمعتها من والدي عمر رحمه الله وروى لي عن لويحان نفسه أنه وضع هذه
الآيات على لسان أحد بني سليم ، وكان الوالد صديقاً للويحان بالجبل منذ
خمين سنة وكان قاضي البلد الشيخ محمد بن إبراهيم البواردي ، وكان

(٢٤) الخرسية : شدة الظلام من الليل .

(٢٥) روائع من الشعر النبطي ص ١٩٧ - ١٩٨ .

يجتمع عند الوالد عدد من الشعراء كشرافان البواردي ولويحان وقد أكد لي ما أخبرني به الوالد عدد من الأشياخ بشقراء.

وإذا أردت أن أستعير من مصطلح الحديث قلت إن في لحظتنا الراهنة شعراً من خبر الأحاد لا يرويه غير ابن يحيى كهمزية حميدان الشويعر ونونية العليمي... إلخ.

ولكن هذا الخبر حاصل به العلم القطعي، لأن ابن يحيى ثقة، ولأنه لا يحسن نظم الشعر، ولأن ما عنده مدون، ولأن روايته معلومة عن الشاعر الكبير ابن جعيثن وهو من كبار الرواة، ولأن هذه القصيدة مما سمعناه على أشياخنا وعجائزنا ولم ندونه، فلما دونه صار مدار الإسناد عليه وقد طبع هذا الشعر قديماً رواية عنه.

إن الانتحال يقيني في شعر السباحين، وهو محتمل فيما لا ينسب لقائل معين، وهو شبه يقيني فيما ينسب لبني هلال بلهجة أهل نجد الصرفة.

* * *

ومن جدوى الشعر العامي إيضاحه لتعبيرات لغوية ولهجات عربية قديمة (٢٦).

قال أبو عبد الرحمن: هذه حقيقة تكفلت بها عنايتي بشرح هذا الشعر فليتلقط هذه الظاهرة منه من أراد، ولكنني أذكر أنموذجاً لذلك نصاً وجدته في نواذر الهجري وهو قوله:

(والبدون مسان الأروى يحك قرنيه بأصل الساق) وقد جزمت في مشاركتي لشيخني حمد الجاسر تحقيق النواذر بأن الهجري صحف في قراءته فظن أنها من السن - بفتح السين - مع أنها من السن بكسر السين.

(٢٦) مجلة العرب س ١١ ص ٨٤٥.

إذن البدون هو الوعل نفسه وليس هو ما يحك عليه قرنه .
وهذا الاسم باق في شعر البادية حتى اليوم وله نماذج كثيرة .
ومن تتبع شرحي لهذا الشعر رأى أن الجمهرة من لغته توسيع
للفصحي بالمجاز اللغوي والأدبي .

* * *

أما جدوى نشر هذا الشعر والاحتفاء به فقد ألمحت لذلك في
مقدمتي للجزء الثاني من ديوان ابن صقيه وفي مقدمتي للسفر الأول من
ديوان الشعر العامي .

وحسبي ها هنا أن أسوق فصولاً من نصوص المعركة حول هذا
الشعر ما بين محسر ومقصر ومعتدل مع تعليقات طفيفة .

قال الشيخ حمد الجاسر:

عنيت الشعوب والأمم بالحفاظ على تراثها القديم من جميع نواحيه،
لأنها رأت فيه ما يهيئ للباحثين معرفة كثير من الجوانب المتعلقة بماضي
الأمة أو الشعوب من أخلاق وعادات وتقاليد، وعلى أساس هذه الأمور
يقوم كيان الأمة أو الشعب .

وفي الآونة الأخيرة اتجهت الدراسات العربية إلى تراث العرب،
اتجهاً حمل كل قطر أو أمة على العناية بما يخصها من ذلك التراث، غير أن
بعض العلماء والباحثين وقفوا حيال ذلك وقفة المستريب، فبعضهم يرى أن
العناية بدراسة بعض نواحي هذا التراث وخاصة اللهجات المحلية كان
الحافز لها أمراً ليس من صالح الأمة، بل إحياءاً لنعرات وعادات مختلفة،
قصد من وراثتها إيقاع الاختلاف، وإيجاد الوسائل التي تضعف كيانها،
وتوقع الفرقة بين أجزائها فهذا أحد الباحثين عندما قرأ مجموعة من الشعر
العامي النجدي كتب يقول:

(لم نجد فيه شيئاً يتنعم به الفكر أو القلب!!).

وقد تعجبنا كثيراً من قول جامع الديوان في مقدمته^(٢٧) (وبعد فلا بد لمن يدرس الأدب العربي وتاريخه وتطوراته أن يبدأ بدراسة الأدب العامي في نجد في الوقت الحاضر لأنه صورة صادقة على ما كان عليه أدب اللغة العربية في العصر الجاهلي).

لا والله ليس هذا الأدب أدب التطور، ولكنه أدب التدهور وحرام أن يشبه به شعر الجاهلية، وحرام أكثر من ذلك أن يطبع مثل هذا الزجل الغث للفرح. فما أجد فيه إلا فضيلة واحدة: العلم به للحذر منه!

إنه أدب العامة، أدب الانحطاط الذي يوجد مثله في كل قطر، ولم توجد المجامع اللغوية إلا لتنقذ الشعوب من هذا اللون من الأدب^(٢٨).

بينما نرى باحثاً آخر أطول باعاً في الأدب يرى في هذا الشعر من الأصالة والمعاني ما يحمله على تفضيله على الشعر العربي الفصيح في هذا القطر^(٢٩).

وللعلامة ابن خلدون رأي يحسن إيراده، قال في الكلام على شعر العرب في عهده: (ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول والمتأخرون عن ذلك، والكثير من المتحليين للعلوم لهذا العهد، وخصوصاً علم اللسان، يستنكر هذه الفنون التي لهم إذا سمعها، ويمج نظمهم إذا أنشد، ويعتقد أن ذوقه إنما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الإعراب منها).

(٢٧) يعني ابن رداً. ابن عقيل.

(٢٨) الدكتور منير العجلاني: «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق ج ٢ م ٢٨ ص ٣٠٢ حمد.

(٢٩) الدكتور طه حسين في بحثه الممتع (الحياة الأدبية في جزيرة العرب). حمد.

قال أبو عبد الرحمن: هذا صحيح فنظم الفقهاء من شعراء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لا يصل مستواه الفني إلى ذروة شعر الفحول من العامين.

وهذا إنما أتى من فقدان الملكة في لغتهم، فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه ببلاغتها إن كان سليماً من الآفات في فطرته ونظره، وإلا فالإعراب لا مدخل له في البلاغة، إنما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود وللمقتضى الحال من الموجود فيه، سواء كان الرفع دالاً على الفاعل، والنصب دالاً على المفعول أو بالعكس. وإنما يدل على ذلك قرائن الكلام، كما هو في لغتهم هذه. فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة. فإذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر، صحت الدلالة، وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة. ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك. وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه، ما عدا حركات الإعراب في أواخر الكلم، فإن غالب كلماتهم موقوفة الآخر، ويتميز عندهم الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلمات لا بحركات الإعراب(٣٠). ١-هـ.

وإذا نظرنا إلى أن الأمة أصبحت تحل أقطاراً غير مهدها الأصلي وكانت تلك الأقطار يسكنها شعوب ليست عربية، لها تقاليد وعاداتها ولغتها التي تختلف في كل شيء عن الأمة العربية، وأن العرب بعد أن سكنوا تلك الأقطار، قضوا على ما لسكانها القدماء مما لا يتفق مع ما للأمة العربية الإسلامية من تقاليد وعادات، أما في مهد العرب الأصلي، الذي هو جزيرة العرب، فإن جميع ما فيه من تراث هو عربي قح خالص بخلاف ما في الأقطار الأخرى، ولهذا فإن التراث الشعبي في بلاد العرب الأصلي يختلف عن تراث الشعوب التي ورثها العرب في الأقطار التي استولوا عليها وسكنوها، وأصبحت تعرف بهم، وعلى أساس هذا الاختلاف ينشأ الاختلاف في التراث الشعبي، فهو في مهد العرب جزء من حياتهم قديمه وحديثه، والعناية به عناية بتاريخ العرب أنفسهم ولهذا فإن القول بعدم جدواه، قول لا يقوم على أساس.

(٣٠) مقدمة ابن خلدون. حمد.

أما دراسة تراث الأقطار الأخرى الموروث الكثير منه عن أمم وشعوب بعيدة كل البعد عن العرب وعن عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم، فلا شك أن في إحيائه إضعافاً لتراث العرب الأصيل، وهذا ما يجب أن يحذر منه، بل يجب أن يقضى عليه، إذ في القضاء عليه تقوية للروابط بين الأمة العربية في مختلف أقطارها، كما أن في العناية بدراسة التراث الأصيل في مهده من إبراز مميزات الأمة العربية، والإبانة عن جوانب شتى من حياتها في الحاضر والماضي ما لا يستغني عنه كل من يعنى بدراسة الجوانب الثقافية، والاجتماعية واللغوية والتاريخية لهذه الأمة.

فالشعر العامي في الجزيرة هو الشعر العربي القديم باختلاف في طريقة التعبير وهو اختلاف أتى من مؤثرات خارجية، وهذا الشعر نفسه يحفظ من تاريخ هذه الأمة ويسجل من مختلف أحوالها ما لا نجده مدوناً في الكتب^(٣١).

ولئن فات الدارسين والمؤرخين في العصور الماضية أن يسجلوا ما تحفل به الجزيرة في ماضيها منذ القرن الثاني الهجري إلى ما قبل قرن من الزمن أو أكثر بقليل، فإن هذا الشعر الذي يتناقله رواتها أصبح هو المرجع الوحيد لدراسة أحوال سكان الجزيرة في مختلف النواحي، وليس معنى هذا احتواءه على كل ما يحتاج إليه الباحث، ولكنه هو كل ما سيجده، والقول بعدم الاهتمام به يعني إهمال دراسة أحوال الجزيرة طيلة عشرة قرون أو أكثر، ولا يقول غيور على الأمة ممثلة في حياتها الماضية، لغة وأدباً وعادات. لا يقول بهذا من يتصف بالغيرة، والحرص على الحفاظ على كيان هذه الأمة.

(٣١) إنما ندعو إلى استثماره دون إحياء لغته. ومن الناحية الأدبية الفنية ندعو إلى الاستمتاع بصورة ومعانيه وإشباع الدراسات البلاغية والنقدية من ثماره. ابن عقيل.

لقد حفظ لنا التراث في هذا الجزء من وطننا أشياء كثيرة نحتاج إليها في دراسة كل ناحية من نواحي حياتنا العامة، ففيه أمثال عريقة القدم، وفيه وصف لمختلف نواحي الحياة، لا نجده إلا في الشعر الجاهلي والإسلامي، وفيه تعابير لغوية أصبحنا حين نقروها في كتب المتقدمين لا نستطيع فهمها ما لم ندرس الشعر العامي الحديث دراسة عميقة، هذا فضلاً عن تسجيله لحوادث تاريخية تمثل أوجه الصراع بين القبائل العربية داخل جزيرتها مما لم تحفل به الكتب المؤلفة قديماً.

ولنورد شواهد يسيرة من ذلك:

(أ) تقول العامة في نجد: (جاني صكة عمي) أي أتى إلي وقت اشتداد حرارة الشمس، وهو مثل قديم ورد في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم: كنا نستظل بمائدة ابن جدعان صكة عمي.

(ب) وتقول العامة في نجد للمرء حين يذهب إلى جهة غير معروفة: (هف هفة غيلان على صيدح) أي (ذهب كذهاب غيلان) وهو الشاعر ذو الرمة، وناقته صيدح، ويروون بذلك قصة طويلة.

(ج) ونقرأ في الكتب اللغوية عن لهجات العرب القديمة مثل الكسكسة والكشكشة ولكننا لا نستطيع فهم ذلك إلا إذا سمعنا العامي في نجد من الحضر يخاطب أنثى فيقول: كيف حالك؟ الكاف هنا تنطبق بين السين والكاف ونسمع الرجل من بني مرة عندما يخاطب أنثى بتلك الجملة يخرج الكاف بمخرج يقرب من حرف الشين. ومن هذين المثالين يتضح لنا ما خفي على كثير من اللغويين الذين ألفوا كتبهم بعيدين عن الجزيرة.

(د) ونقرأ في شواهد النحو: (طاروا علاهن فطر علاها) ولا يتضح لنا هذا إلا عندما نسمع أبناء البادية لا يستعملون في لهجتهم سوى هذه اللهجة فيبدلون الياء ألفاً في كثير من الأسماء والحروف.

ويستغرب الباحث اللغوي عندما يسمع أحد سكان القسم الشمالي من نجد يقول: بضاعتي بعته أو ناقتي ركبته يحذف الألف ولكنه عندما يرجع إلى كتب اللغة يجد شواهد هذه اللهجة ومنها: (بالكرامة ذات أكرمكم الله به) - أي بها.

كما يسمع المتحدث من شمال نجد يقف على التاء المربوطة مظهراً إياها فيقول: الناقت والجاريت، في الناقة والجارية، وهي لهجة قديمة وشاهدها (ليس عندنا عربيت من أتى ظفار حمر) أي: من أتى هذه البلدة تكلم بكلام حمير، لا بالعربية الفصحى^(٣٢).

(هـ) أما ما حفل به هذا الشعر من أسماء المواضع الأثرية التي لا نجد فيما بين أيدينا من معجمات الأمكنة ما يفي بتحديداتها فأمر من السعة بمكان، لنستمع إلى الشاعر عبدالعزيز بن محمد القاضي (١٢٦٩ - ١٣٠٨هـ) من قصيدة يصف سحاباً:

كانفات رقابه بسامي (سنام) حابيات ذبوله على أعلا (كرا)
مد من فوق (حضن) الجنوبي جناح وحطروس (الحلم) و (النفر) بالثرى
مرعف مستمله فوق (تيما) حقوق مسبل ميمنة من ورا (غضورا)

به شبوب شذب ما زمي من (طلال)

و (المضيح) و (وادي الرشا) و (الشعرا)

كن (طمية) بطوفان سيله تدوم

وشال (عروى) و (دلعة) و (عرض مغرا)

(٣٢) بل ورد في القرآن: إنا أنطيناك الكوثر بلهجة طيء وهي الآن لهجة خلفهم من شمر. ابن عقيل.

إن كثيراً من هذه المواضع التي ذكرها، والتي لا تزال معروفة زخر بها الشعر العربي القديم ولا نستطيع فهم هذا الشعر، إلا بفهم هذه المواضع التي يعرفها العامة في نجد أكثر مما يعرفها العلماء.

(و) أما عن تدوين هذا الشعر، لكثير من الحوادث التاريخية التي وقعت بنجد في عهود حرمت هذه البلاد فيها ممن يتصدى لتدوين تاريخها فأمر لا يدخل تحت الحصر.

من هذا ومن غيره مما لا يتسع المجال لذكره من الأسباب، يصح القول بأن تدوين ما لسكان جزيرة العرب من تراث شعبي، أصبح من الأمور التي يجب أن يعنى بها كل من يريد الحفاظ على الأمة العربية، ممثلة في أخلاقها وعاداتها وتقاليدها^(٣٣).

أما من الناحية التاريخية فقد أفاد من هذا الشعر من كتبوا عن الأنساب كالعزاوي، ومن درسوا أحوال البادية، كما أفاد منه الدكتور العثيمين في دراسته الرائدة لعبدالله بن رشيد^(٣٤).

وحديث الشيخ حمد الذي أسلفته تناوله الأستاذ عبدالعزيز بن حمد العويشق وحاول تنفيذه، وتعبه شيخنا حمد بما لا يشفى لهذا أحببت إيراد كلام العويشق مع تحشياته، ثم يرد تعليقي تلواً.

قال العويشق:

في مقدمة الجزء التاسع من المجلد الثالث (ربيع الأول ١٣٨٩

(٣٣) شاعرات من البادية ٧/١ - ١١ مقدمة الشيخ حمد الجاسر له. ومجلة العرب ٧٧٣-٧٦٩/٣.

(٣٤) وقد أشبع هذه الناحية بمقالته بمجلة العرب س ١١ ص ٨٣٩-٨٦٣ وتحدث ابن خيس عن جدوى هذا الشعر في تحديد المعالم بمجلة العرب س ١ ص ٨-١٣ وص ٢٩٤-٣٠٠ وص ٤٩٤-٥٠٤.

ص ٧٦٩ - ٧٧٣) أثرت قضية العناية بالتراث العامي - أو الشعبي كما سميتوه وما أدري كيف تصح هذه التسمية - وكان من رأيكم أنها أمر لازم لكل أمة يهتمها معرفة تاريخها وماضيها، واستشهدتم واحتججتم واستأنستم.

ومع أنني أتفق معكم إلى حد كبير في هذا الرأي فإن لي رأياً فيما أوردتموه حججاً وشواهد على وجوب العناية بذلك التراث، وما جرأني على أن أكتب إليكم بما أرى إلا ثقتي برحابة صدركم.

وقبل أن أقصد إلى ما أنا بسبيله ألاحظ اعتمادكم في تعزيز ما ترونه على رأي الدكتور طه حسين، ومهما يكن طول باع الدكتور في الأدب فإن طول باعه في معرفة أدب نجد موضع شك كبير^(٣٥). والحق - من قبل ومن بعد - لا يعرف بالرجال.

١ - وأول ما لاحظته رأيكم أن إحياء تراث الأقطار الأخرى - غير الجزيرة - مضعف لتراث العرب، لأن الكثير منه موروث عن أمم بعيدة عن العرب وعن عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم، فيجب أن يحذر منه، بل يجب أن يقضي عليه. ولا أجد معنى لهذه التفرقة، فإن إحياء تراث العامة في الجزيرة - على هذا القياس - مضعف للتراث العربي الفصيح، لكنني أعتقد أن التراث العربي أرسخ وأعمق من أن يؤثر فيه دراسة وإحياء غيره من تراث الحضارات السالفة، ومعاذ العلم أن يدعو أحد إلى الحد من دراسة وإحياء تراث الحضارات القديمة ما كان هذا الإحياء والدرس لوجه العلم ذاته، إنما المحذور هو الدس المغرض المقصود به الدعوة إلى تقليد ذلكم التراث لأنه من تراث الأمة فحسب بصرف النظر عن قيمته الذاتية.

(٣٥) يقوي من هذا الشك أن يقارن من شاء بين كتاب الدكتور في الأدب الجاهلي والجزء الأول من كتابه حديث الأربعة وأن يقرأ من شاء كتابه مع التنبيي ومقدمة كتابه من حديث الشعر والنثر. العويشق.

٢ - ثم قلت إن أول مظاهر فائدة دراسة تراث العامة يتمثل في أن تفسير العامة بعض الأمثال يعيننا على تفسير تلك الأمثال الواردة في مظانها من التراث الفصيح. وهذا أمر فيه نظر، فمن المعلوم أن تفسير الأمثال يضطرب اضطراباً كبيراً، ونظرة مقارنة عجلت إلى كتب الأمثال»^(٣٦) تكشف عن هذا أوضح كشف، فكيف بما يتناقله العامة، مما تجرمت عليه القرون!

٣ - ورأيتم أننا لا نستطيع فهم ما يرد في كتب النحو واللغة من مظاهر اللهجات العربية القديمة إلا بملاحظة لهجات العامة التي يمثلها التراث العامي^(٣٧) وهذه الطريقة - طريقة قياس الماضي على الحاضر - طريقة معروفة في علم اللغة^(٣٨) ولكنها طريقة كثيرة المحذورات إذا مر في خلدنا ما هو معلوم من تطور اللغات، خاصة لهجات الخطاب التي لا يحدّها ضابط ولا يحوي نحوها وصرفها كتاب، وإذا لاحظنا الاضطراب الكبير في توضيح تلك اللهجات في الكتب التي ذكرتها^(٣٩).

٤ - ورأيتم أن هذا التراث بما حواه من أسماء المواضع يعين على إيفاء تحديدها الناقص في معجمات المواضع، واستشهدتم بشعر أحد شعراء القرن الثالث عشر، ولكن الناظر يرى في هذا الرأي مغالاة شديدة، فكيف يمكن الاستعانة بشعر قيل في القرن الثالث عشر على تحديد موضع ورد في خبر عن القرون الأولى للهجرة، مع ما تعلمونه من اشتراك

(٣٦) الفاخر للمفضل بن سلمة وجهرة الأمثال لأبي هلال ومجمع الأمثال.. الخ. العويشق.

(٣٧) من قبل سلك نحواً من هذا المسلك المرحوم حفي ناصيف في كتابه مميزات لغة العرب، وفقاً أثره الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه في اللهجات العربية. العويشق.

(٣٨) علم اللغة للدكتور وافي ص ٤٤ - ٤٥ (ط ١٣٨٢). العويشق.

(٣٩) المزهر ج ١ ص ٢٢١ (ط الحلبي) فقه اللغة (للتعالبي) ص ١٧٣ (ط الاستقامة) مجالس نعلب ٨١ (ط هارون) جبهة الأشعار ص ١٨٦ (ط بيروت)، اللسان ع ن الكامل (ط شاكر).. الخ. العويشق.

مثير من المواضيع في أسمائها مع اختلاف أصقاعها مما هو مبسوط في كتب المشترك والمؤتلف والمختلف والمتفق والمفترق مما أنتم أدرى به من سواكم، ومع ما تعلمونه من عيش البدو وهم أغلب سكان الجزيرة الذي لا يستقر في مكان، بل يسيره الخصب والجذب وما يقتضيان من استقرار أو نجعة. أجل، يفيد هذا التراث علماً بالضرورة لو تهيأ لنا من النصوص ما يتيح متابعة هذه المواضيع منذ الجاهلية حتى يومنا. وإني لا أنكر بعد ما لتراث العامة من قيمة في الاستئناس ما قدم عهده ووثق سنده.

هـ - ورأيتم أن هذا التراث مفيد للمؤرخ بما دونه من الحوادث التاريخية.

وأنا أتفق معكم في أن التراث الأدبي مصدر - لا مرجع - للتاريخ، لكنه مصدر ظنين، فإن الأدب - خاصة أدب الأمم المتأخرة في سلم الحضارة - كثير التشويه للحقائق التاريخية، إذ يتدفق الأديب - عن قصد أو غير قصد - إلى المبالغة في كل ما فيه رفع لقدر قبيلة، وتهوين من قدر عدوه، وقد يضطر إلى الكذب وتغيير الحقائق دفاعاً عن موقفه وموقف قومه وتسويغاً لهزيمتهم أو تملقاً لشعور قرائه، يعينه على ذلك التعريف الواسع للأدب وآراء الناقدين منذ أيام اليونان إلى يومنا وتساهلهم في المبالغات الأدبية مما تجلى أثره في آثار قدماء الأدباء ومحدثيهم منذ أيام حيرودوت وتاسيت إلى عهد دوما وشوقي. فالأدب مصدر للتاريخ، لكن بالشهادة الخارجية وحدها دون الشهادة الداخلية النصية^(٤).

وبعد، فهذا ما رأيته في مقالكم موضعاً للتعليق، وباصطحاب هذه الحدود والتحفظات في درس وإحياء التراث العامي أتفق معكم في الدعوة

(٤٠) في النقد التاريخي للانجلوا وأسيزيوس ص ٢٣٢ - ٢٣٣ (ط ترجمة د. عبدالرحمن بدوي) منهج البحث التاريخي للدكتور حسن عثمان ص ١٢٧ (ط دار المعارف) عرض لهذا الرأي لا يروي غلة. العويشق.

إلى هذا الإحياء وإلى وضع الكتب المفصلة في تاريخه وتطوره، ونحوه
وصرفه، ومتن لغته ومظاهر بلاغته، لئلا تذهب به صروف الأيام كما
ذهبت بتراث العامة في العصر العباسي وما تلاه من عصور، فلم يبق منه
إلا إشارات مقتضبة في أنابيش الكتب التي قصد بها إلى التسلية مؤلفوها
ككتاب الفرج بعد الشدة و«أخبار الحمقى» و«المتصرف» وبعض فصول
«التيمة» والتي قصدها أصحابها من تدوين اللهجات العامية - وهي
قلة - مثل «الجمانة» و«رفع الأمير»^(٤١).

قال أبو عبد الرحمن: أما عن الملاحظة الأولى فإن بين التراثين فرقاً،
فأدب العامة في نجد مفسر للفصحى في ملامح كثيرة أهمها دراسة المجاز
اللغوي، وليس كذلك التراث الآخر، لأن الأدب العامي الآخر بعيد
الصلة بالفصحى البعد الذي لا يتأتى معه أن يكون مفسراً ومتمماً
للدراستات اللغوية.

وثمة ملمح آخر وهو أن الدعوة إلى دراسة الأدب العامي - وهي
ضرورة تاريخية لغوية لا خيار لنا فيها - لا تضعف التراث العربي، لأن
أدب العامة يدرس لأجل الخاصة فلا يفقهه إلا من كان من أهل اللغة
والبيان.

وإنما الخطورة في الدعوة إلى الكتابة بالعامية، والدعوة إلى النظم
بالعامية.

ونحن نخشى على الأمي أن لا يتعلم، ولا نخشى على المتعلم أن
يكون أمياً.

وأما عن الملاحظة الثانية فالعكس من كلام الشيخ حمد هو
الصحيح، وهو أن التراث الفصيح يفسر المثل العامي، وقد برهن على
ذلك تطبيقاً كتاب الشيخ العبودي عن الأمثال.

(٤١) مجلة العرب س ٤ ص ٨٠ - ٨٣.

وفي هذا التفسير دلالة على ارتباط المأثور العامي بالمأثور الفصيح .

ومعاني هذه الأمثال ذات غناء لإثراء تراثنا وإخصاب موهبة الأديب .

وأما الملاحظة الثالثة فلعمر الله إن كلام شيخنا حمد الجاسر لفي صميم الحقيقة ودعك من هذيان القياس والتطور فالمسألة تجربة وتطبيق ووقائع ففي شرحي لهذا الشعر أخذت بخيط الشفق المتع الذي طرز به ابن فارس معجمه في ضبط الأصول والمجازات فرأيت معاني العامة مطردة مجازاً من نفس الفصحى بنفس الاطراد الذي وجد عند ابن فارس ، وقد بينت في كتابي عن القاعدة والمثال أن كل مجاز صح فهو من لغة العرب غاية ما هنالك أن يضبط تاريخ المجاز فلا نفسر بالمجاز الحادث نصاً سابقاً^(٤٢) .

وأما الملاحظة الرابعة فلعمر الله إن للشيخ حمد مأخذاً لطيفاً برهانه من نفس اعتراض العويشق فمع تعدد الأسماء لمسمى واحد واتحاد الاسم لمسميات متعددة يبقى التمييز بدلالة الشعر العامي من المرجحات كمسكن القبيلة واقتران ذكر الموضع بذكر موضع آخر معروف قريب منه في نص أدبي فصيح فإن عدم أغنى عنه النص الأدبي العامي وكان من المرجحات التي لا يستهان بها .

ومن الملاحظ أن مسميات الأعيان من جراد ونبات وحيوان لم يطرأ عليها تغيير بسبب العامية إلا نادراً .

وأما الملاحظة الخامسة ففيها اعترف العويشق بالجدوى التاريخية ولكن بشكل طفيف ، ولم يصب في هذا التطفيف ، لأن أسفار هذا الكتاب رد عملي لا سيميا ما يتعلق بأحوال البادية ومغازيها ومناخاتها مما أهمله مؤرخو نجد ، واندفاع الشاعر بعاطفته لا يلغي مدلول الشعر العامي لأبناء عصره

(٤٢) انظر كتابي اللغة العربية بين القاعدة والمثال ص ١٧ .

لأنه كما حفظت عاطفته الشعرية حفظ أيضاً شعر الطرف المقابل والطرف
المحايد، والتاريخ يؤخذ من دلالة نصوص مختلفة وليس من دلالة نصوص
متواظئة.

* * *

وربما توهم متوهم أن تسميتي له بالشعر العامي تختم أن تكون كلمة
عامي مرادفة لشعبي.

قال الدكتور عبدالله العثيمين:

وهناك من يسميه الشعر العامي أو الشعر الشعبي، والتسميتان
ترمزان إلى معنى واحد وهو أن ألفاظ هذا الشعر هي الألفاظ التي يتكلم بها
عامة الناس أو سائر الشعب لا أن الذين يقولونه هم العامة وحدهم لأنه
خلاف الواقع^(٤٣).

قال أبو عبدالرحمن: الأصل في مادة عم الكثرة، ثم أطلق العموم
على ما يستغرق الجميع وأطلقت العامة تسمية ل ضد الخاصة^(٤٤).

قال أبو عبدالرحمن: وعرف من تجربة البشر أن من يسمون خاصة
من أصحاب حرفة أو علم أو فن أو دأخله إنما هم قلة بالنسبة لمن سواهم
في العصر والمصر.

وما دامت عامة ضد خاصة فالعامة هم الأكثرون.

أما شعبي فالشعب معروف لغة ولكنه أطلق في عرف المتأخرين على
الرعية فالنسبة إلى الشعب نسبة استغراق والنسبة إلى عامة نسبة إلى
الجمهور والأكثرية.

(٤٣) مجلة العرب س ١١ ص ٨٤٠.

(٤٤) انظر تفصيل الاشتقاق لهذه المادة بمعجم مقاييس اللغة ١٥/٤ - ١٨.

فهذا أول فارق بين شعبي وعامي .

فلا يجوز أن ينسب إلى الشعب إلا ما يهيم جميعه فإن نسب إليه تجوزاً ما يهيم أكثره أصبحت شعبي مرادفة لعامي .

ولو أردت بتسميتي هذا الشعر العامي أن من ينظمه أو يتذوقه هم عامة الناس وسائر الشعب أو أن لغته مما يتكلم به عامة الناس وسائر الشعب لكانت كلمة عامي مرادفة لشعبي .

ولكان من لوازم ذلك أن لا يسمى هذا الشعر عامياً ولا شعبياً إلا إذا أصبح عامة العرب ينطقون الفصحى ويدعون ويتذوقون الأدب الفصيح .

إنني لم أراع في الاصطلاح المعنى اللغوي، وإنما راعيت مصطلح علماء العربية، وهو مصطلح تاريخي أطلق العامية على كل كلام غير متمحض للفصحى ولا يهمننا بعد ذلك أن تكون الفصحى لغة القلة أو الكثرة .

وبهذا افترق مصطلح شعبي عن مصطلح عامي، وبهذا رفضت مصطلح الشعبي وأيدت المصطلح العامي .

* * *

وامتداداً للحديث عن أوزان الشعر العامي وألحانه أتكلم عن اللحن الشيباني، فهذا اللحن ذكره الشيخ عبدالله بن خميس تحت صوت ولم يسمه فقال (٤٥) :

وأحياناً يستقل الشاعر - في هذا الدور - بمعنى يقول فيه البيتين، والثلاثة، والأكثر، فيأتي الشاعر الثاني، فيناقضه، كما وقع لأحد الأمراء الكبار المتأخرين، مع أمير آخر، قال هذا الأمير الكبير.

(٤٥) الأدب الشعبي ص ٣١٧ - ٣١٨ . والشرح الذي سأورده عن هذا الكتاب .

الا يا مل قلب كل ما جا الليل جاه خلاج
 يلوج ويلتجي في الصدر والعربان ممسين^(٤٦)
 انا متحير ما ادري عن المدخال والمنهاج
 الا ياعمس رايبى ما لقيت اللي يقديني^(٤٧)
 الا يا مجيب دعوة من تصافق فوقه الامواج
 انا بحماك ياوال الخلايق لا تخليني^(٤٨)

فيجيه الأمير الآخر:
 ألا يا صاحبي دينالك ما تحتاج ما تحتاج
 ترى اللي سالم منها تعادل فيه رمحين^(٤٩)
 تعبر بالهجين اللي يضدنه ظلاف العاج
 تودي حملها ويصبح خاطره زين^(٥٠)
 ترى بعض العرب عمله بروحه مثل وصف سراج
 ينور للعرب والنار في جوف المسيكين^(٥١)

(٤٦) يامل قلب: يا من لقلب هذه صفته ينقده. خلاج: اضطراب وتوتر.

يلوج ويلتجي: يضطرب ويسكن.

(٤٧) أنا متحير مدري: أنا حائر لا أدري. . يا عمس رايبى: بالتفكير المضطرب.

يقديني: يرشدني ويصبرني.

(٤٨) من تصافق فوقه الامواج: المراد ذو النون. يونس - في الآية: ﴿فنادى في الظلمات ألا إله إلا أنت. . الخ﴾ لا تخليني: لا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك.

(٤٩) ما تحتاج ما تحتاج: ليست بذات بال حتى تتألم منها هذا الألم.

ترى اللي: إن الذي. . تعادل فيه رمحين: ضرب برمحين فكيف بغير السالم.

(٥٠) تعبر بالهجين: اقض حاجتك بالناقة المزنة الدارب. اللي: التي.

يضدنه ظلاف العاج: تؤلمها عضادات القتب. الجاير: الثقيل.

(٥١) ترى: إن. بروحه: بنفسه. وهذا المعنى قد طرقة شاعر عربي، هو مروان بن أبي حفصة بقوله:

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا =

قال أبو عبدالرحمن: هذا هو اللحن الشيباني اشتهر في نفي والدوادمي وشقراء وعموم عالية نجد.

ونظم عليه وغنى به ابن سيعدان مطوع نفي وعبدالله بن دويرج وفهيد السكران وصالح السكيني والبواريد وابن بليهد والطريقة ابن مقحم ومنيع القعود والشويب من الروقة.

وتفرغ لهذا اللحن وشهر به عبدالله اللويحان فنسب إليه لأن صوته بهذا اللحن من أعذب الأصوات، ولأن معظم شعره على هذا اللحن كقوله:

يقولون العرب من وسع المقطع يحييه العود
ومن لا بالصحو جود مسيل الغرس ما سال
وقوله:

الا يا نجد يا منتج رجال تعطب المضراب
ترانا درعك الظافي الى جا حزم كلاب
وقوله:

تغني يا حمام الروض مسرورة وانا مسرور
ابا اسمع صوتك الفاتن على نبوبة الوادي

وقد أوردت في هذا السفر نماذج للحن الشيباني من شعر منيع القعود والشويب.

= صرت كاني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق
قال أبو عبدالرحمن: إلى هنا كله عن الشيخ ابن خيس.

ومن ذلك قول الروقي :

الا يا وجد روحي وجد من تاه الركاب وتاق

واهيله من وري ركة وخلنه ورا النير^(٥٢)

وقال شاعر من بني سليم حل ضيفاً على عين خلص فلم يضيفه
أهلها :

عسى يا خلص عينك مدرج الافلاك يخفيها

بلا فيك الوجيه اللي يديها تقطع المد^(٥٣)

وأورد الأخ عاتق البلادي عدة قصائد من اللحن الشيباني في كتابه
الأدب الشعبي في الحجاز كقول السلمي :

مريح في الغريف ولا بدا في عالي القنة

ولا وايق مخافة مع سبور القوم باديها

وقول الربيعي من بني عبدالله من مطير:

انا هيض عليه طرقة جت لي مع الغزوان

مطير اللي يزورون الاعادي في مشاحيها

وقول محمد بن مبارك المحقني الروقي :

يقوله من تهيض يوم عدى عالي المزبان

مويق في علو الحيد من فرع النعم بادي

وما ورد على هذا اللحن قول ابن جعثين :

أرى كثر التردد لو على بيتي من المنقود

الا واعجبتي في الغير كيف يكثر الجية

(٥٢) المجاز ص ١٣٥ والعرب س ٤ ص ٣٩١ .

(٥٣) مجلة العرب ج ١ س ٨ عام ١٣٩٣ هـ ص ١٢ .

وقول آخر:

ألا يا الله لا يسقيك يا قلبان مران
تلم الحي في ساعة وكل ضارب نية^(٥٤)

وقال شاعر من الروقة:

ألا يا سعد من غنى بعدما وابق المزبان
ما أعد يوم قاد المال في راس الوريكية^(٥٥)

وقول سليمان بن شريم:

انا ابا احذرک من مدة يمينك تاخذ المفراص
كما اللي يبغي الحذوة وتقرضه المسامير

وقول عبدالرحمن البواردي:

عسى من لامني في حبكم يرمى بدرب الخيل
ثمان ايام حي ما يذوق الما وهو ظامي

وقول شاعر من بني عبدالله:

وجيناهم شريق الشمس يوم المال في المرحان

وزفينا امهات الباب مع ضين يباريها^(٥٦)

وهذا اللحن على وزن مفاعيلن أربع مرات لكل شطر أكثر ما يكون
هذا اللحن في المراد (القلطة) بغناء جماعي، والمراد عادة بين شاعرين، وقد

(٥٤) العرب ج ٨ س ٤ ص ٧١٥.

(٥٥) عالية نجد ١٣٠٤/٣.

(٥٦) نسب حرب ص ١٦٣ قال الأستاذ البلادي: الباب: وسم البلدية على الإبل عدا العرادات فوسمهم الباكور.

يكون جماعياً على طريقة غناء المراد وإن كان الشعر قصيدة واحدة يتابعون فيها الراوي أو الشاعر.

وقد يغنونه جلوساً، وله صوت آخر يكاد يقرب من طويل المهجيني
فمما غني على هذا الصوت الأخير قول الشاعر:

ضربني ضربة منها العطب وانا ابن شيان

ونجاني ولي العرش ولاجا في امارية

وهذا البيت مما كنا نغني به في الأنقاء أيام الصبا وهو من قصيدة
لأحد اللصوص يسمى شومي الشيباني أوردها ابن بليهد في الجزء
الثاني من صحيح الأخبار.

قال شومي :

حمدت اللي وقاني من هذيل ومن بني سفيان

مربطة يديني بالحبال وطلق رجليه

بعد صكوا علي الجيش الادهم بشروا عثمان

كسا اللي بشروه دفاف والحقهم ريالية

رموني رمية منها العطب وانا ولد شيان

ونجاني ولي العرش ماجا في امارية

وخلوني ورا ضلع القرين ومن تحت نعمان

وطراهم ذبحتي لا شك ربي ما رضى فيه

كما اني مقطع العاني واعينه واشبع الجيعان

بحقي دون وجهي واجب تتميم عانيه

وانا مالي بعارين ولا معزا ولا لي ضان

يقع ما حصلت يمناي في وسط الحرامية

ومن هذا اللحن قول البواردي :

الا يا سعد ما انتا سعد خاب من سماك

عناوين السعادة بينات لي مواريهها

وقول الآخر :

الا يا الله لا تجعل حياتي دايم قراش

مع القراشة اللي بالخلا دايم شقاوية

وقول شاعر رابع :

ترى اللي ياخذ الراجع على اول شفته خسران

تذكر زوجها الاول ولو هو مسوي فيها

ويبدو أن لهذا اللحن صوتاً ثالثاً يتبعه تصفيق وردح (من نوع

الرقص) وذلك في بادية الحجاز(٥٧).



(٥٧) انظر نسب حرب ص ٢٣٤.

- ٢ -

الكناية والمبالغة في الأدب العامي

من الظاهرات البلاغية البارزة في الشعر العامي الكناية تكثر في شعر القرويين وتقل في شعر البادية عرفت هذا بالتتبع كما تجدد في سردي للشواهد.

وكثرة الكناية مع حسنها دليل الشاعرية وقد توجت هذه الحسنات الكنائية شعر حميدان وابن جعيثين.

وقبل دراسة هذه الظاهرة البلاغية في الشعر العامي أحب أن أقدم لذلك بدراسة موجزة للكناية كظاهرة عامة في الأدبين الفصيح والعامي، وأحب أن تكون هذه الدراسة الموجزة تقدم شيئاً جديداً لكتب البلاغة، ولتكن البداية بتعريف الكناية.

قال ابن معصوم عن معنى الكناية في اصطلاح البلاغيين:
ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر لازمه المساوي لينتقل الذهن منه إلى الملزوم المطوي ذكره كما يقال: فلان طويل النجاد: أي طويل القامة.
فترك التصريح بطول القامة إلى ذكر لازمه المساوي وهو طول النجاد لينتقل الذهن منه إلى طول القامة^(١).

ثم تكلم عن وضوح الكناية وخفائها فقال:
ثم الكناية إن لم يكن الانتقال منها إلى المطلوب بواسطة فقرية
كقولهم كناية عن طول القامة: طويل النجاد.

(١) أنوار الربيع ٣٠٩/٥.

وإن كان بواسطة فبعيدة كقولهم كناية عن المضيف: كثير الرماد.

فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدر ومنها إلى كثرة الطبايح ومنها إلى كثرة الأكلة، ومنها إلى كثرة الضيفان، ومنها إلى المقصود^(٢).

قال أبو عبد الرحمن: الكناية تعبير غير مباشر، وليس من الشرط أن تكون تعبيراً عن الشيء بلازمه، لأن دلالة التعبير أشمل من اللازم كما سيوضح من الأمثلة.

وربما توهم أن الكناية تختلط ببعض ضروب البلاغة إلا أنه بإمعان النظر يتضح أن هذا التوهم لا اعتبار له، لأن الكناية تتميز بأن المقصود ترك التصريح لغرض بلاغي.

خذ مثال ذلك قول القائل: عند زيد فراش فرما توهم أن المراد تشبيه امرأة زيد السمينة الناعمة بالفراش الوثير وليس هذا بصحيح فلم يرد المخبر التشبيه، لأنه ليس وراء هذا التشبيه حسنة فنية فقد كاد يكون الفراش مرادفاً لغوياً لكلمة امرأة في عرف الأجيال لأن المرأة تفتersh، وإنما أثر التعبير بعرف أدبي بدلاً من التصريح بالاسم اللغوي لأنه متعمد لترك التصريح لغرض بلاغي سأذكره إن شاء الله في مقاصد الكناية.

وعكس هذا المثال لو قال: رأيت زيدا لبس عيون الجنادب، فهذا لا يريد الكناية لأن العرف لم يستقر على أن الدروع يعبر عنها بعيون الجنادب، وليس وراء التعبير بعيون الجنادب كناية عن الدروع أي هدف بلاغي فصح أن المراد التشبيه، ولأن القيمة البلاغية وراء التشبيه فهو المقصود.

(٢) أنوار الربيع ٣١٤/٥.

وثمة مثال آخر هو قول القائل: زيد من أهل الجنة فربما توهم متوهم
أن ذلك تلميح إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكثر أهل الجنة
البله.

والواقع أن هذا كناية لا تلميح لأنه أثر التعبير بعرف شرعي غير
مباشر الدلالة على تعبير لغوي صريح مباشر وهو البله لمقصد بلاغي،
فكانت الكناية بالتلميح والحسنة البلاغية في الكناية لا في مجرد التلميح.

ويتضح هذا الفرق بمثال معاكس وهو قول علاء الدين الوداعي فيمن
وعده بسمك:

يا مالكا صدق مواعيده خلى لنا في جوده مطمعا
لم نعد في السبب فما بالنا لم تأتنا حيتاننا شرعا

فهذا تلميح إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وأسألهم عن القرية التي
كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم
شرعاً﴾ (سورة الأعراف: ١٦٣) (٣).

وهذا يكون كناية لو قال: فلان من أهل السبت بشرط أن يكون
وراء هذه الكناية هدف بلاغي وإلا فهي كناية صورية غير معتبرة في بلاغة
العرب.

وإنما عد كلام علاء الدين تلميحاً لأن الموعود به وهو السمك
هو الممنوع في القضية الملمح لها وهو عدوان اليهود في السبت، وحسن هذا
التلميح بلاغة لأنه اتخذ منه أسلوباً كلامياً.

(٣) أنوار الربيع ٢٧٢/٤.

وخذ مثلاً ثالثاً وهو قول يحيى بن أكثم ملغزاً في العين :

وبأسطة بلا نصب جناحاً وتسبق ما يطير ولا تطير
إذا ألقمتها الحجر اطمأنت وتجنزع أن يباشرها الحرير^(٤)

فهذا تعبير غير مباشر وهو إلغاز لا كناية، لأنه ليس في مجال الخيار بين تعبير مباشر وغير مباشر فأثر التعبير غير المباشر لغرض بلاغي .

وإنما ابتكر تعبيراً غير مباشر - ولم يطرح تعبيراً غير مباشر مألوفاً في العرب الأدبي أو الشرعي - غير مؤثر له على التعبير المباشر لغرض بلاغي وإنما أراد اختبار وريضة ذكاء السامع .

وعكس هذا المثال قولهم عن الكذوب : الفاختة عنده أبو ذر .

فالفاخته مضرب المثل في الكذب . قال الشاعر :

أكذب من فاختة تقول وسط الكرب
والطلع لم يبد لها هذا أوان الرطب

وأبو ذر رضي الله عنه مضرب المثل في الصدق . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر^(٥) .

فقول القائل : الفاختة عنده أبو ذر ليس إلغازاً ، لأن القائل لم يتخذ أي حيلة لإخفاء المقصود لاختبار ذهن المخاطب فإن غمض المقصود على المخاطب فليس ذلك لغموض في الكلام وإنما هو لجهل المخاطب بخصيستي أبي ذر والفاخته .

(٤) أنوار الربيع ٤٠/٦ - ٤١ .

(٥) الكناية والتعريض ص ٣٨ .

إذن هذا القول كناية عن كذب الكذوب لغرض بلاغي سوغ له التعبير غير المباشر.

ويمكن التفريق بين الكناية والإيهام بقريب من المنهج الذي فرقت فيه بين الكناية والإلغاز.

ويمكن التفريق بين الكناية والاقتباس بقريب من المنهج الذي فرقت فيه بين الكناية والتلميح.

ويمكن التفريق بين الكناية والاستعارة وشئ وجوه المجاز بقريب من المنهج الذي فرقت فيه بين الكناية والتشبيه.

وإنما حرصت على هذه التفريقات لأن البلاغيين لم يحتفوا بها.

وبإيجاز فإن الكناية تتميز بالتالي:

١ - أن القصد في الكناية الخبر ذاته.

٢ - أن يكون الخبر عن شيء بغير اللفظ الموضوع له لغة ليكون التعبير غير مباشر.

٣ - أن يكون ذلك التعبير غير المباشر إما عرفاً ثقافياً كالكناية عن الغلام المليح بأنه على شرط يحيى بن أكثم^(٦) وإما لزوماً عقلياً لا احتمال فيه كقول عمر بن أبي ربيعة كانياً عن طول الجيد:

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها وإما عبدشمس وهاشم

٤ - ما يظن أنه تشبيه في صورة ورود الكناية إنما المراد به الوصف لا التشبيه لأن التشبيه لذات التشبيه أما هنا فهو لأجل الكناية فصار وصفاً^(٧).

(٦) انظر الكناية والتعريض ص ١٩.

(٧) عن الفرق بينها راجع كتابي (الشعر في البلاد السعودية) ١٣٧/١ (حاشية).

٥ - أن يكون الكائي قاصداً الخبر ولكن بغير لفظه الدال عليه، فهو أيضاً قاصد للتعبير غير المباشر لغرض بلاغي سأذكره.

فربما كان المانع من التصريح هو الدافع إلى الكناية، وربما كان المغربي بالكناية هو المانع من التصريح.

٦ - الكناية في حقيقتها ليست سوى وصف إلا أنها وصف وزيادة فارتفعت بذلك درجتها عن الوصف بموجب الحسن الأدبي.

ذلك أن الوصف تتحدد هويته بالتالي:

(أ) أن الوصف والموصوف مقترنان إما ظاهراً وإما تقديرأً.

أما المكني والكناية فلا يقتربان بل الكناية عوض عن المكني، والكناية وصف للمكني.

فلكون الكناية وصفاً قلت إن الكناية وصف.

ولكون الكناية عوضاً عن المكني تميزت عن الوصف.

(ب) أن الوصف بيان للموصوف أو تشويق لبعض خصائصه أو العكس.

أما الكناية فهي وصف وزيادة لأن وراءها سرأً بلاغياً زائداً على حسنات الوصف. وهذا واضح من استجلائي لأسرار الكناية في عدد من الشواهد التي سأذكرها من الشعر العامي، ويكفي أن أذكر سرأً بلاغياً واحداً ها هنا وهو قول الشاعر الفصيح:

وما يك في من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل^(٨)

(٨) أنوار الربيع ٣١١/٥.

فهو ها هنا وصف نفسه بالكرم وصفاً غير مباشر فهذه زيادة حسنة .
ثم إن الذهن يتشوف إلى طلب السر في كون كلبه جباناً وفصيله
هزياً وليس طلب هذا السر من مقاصد الوصف المجرد .

ومعنى البيت أن ضيوفه كثيرون فجبن الكلب عن الهرير في وجوههم
لكثرة ترددهم .

ولكثرة ضيوفه صار يقدم لهم حليب بقرته فلم يجد الفصيل
ما يرضعه حتى هزل .

وأقرب ضروب البلاغة إلى الكناية التعريض وقد فرق بينها
الزخشيري بأن الكناية ذكر لشيء بغير لفظه الموضوع له ، والتعريض أن
تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره^(٩) .

قال أبو عبد الرحمن : يتضح الفرق بالمقارنة بين هذين المثالين :

١ — أن تقول : الأمير فلان لا يؤدي .

٢ — أن تقول لمن يؤدي : المسلم من سلم المسلمون من لسانه
ويده .

فالأول كناية عن الضعف عبرت عن الضعف بعدم الإيذاء .

والثاني تعريض لأنك لم تكن عن شيء بشيء إنما ذكرت شيئاً
وهو الحديث الشريف لشيء لم تذكره وهو أن فلاناً يؤدي والغرض البلاغي
هنا زجره .

وربما قيل إن قولك فلان لا يؤدي تعريض بعجزه ، حيث ذكرت
شيئاً وهو عدم الإيذاء لتدل به على شيء لم تذكره وهو العجز ، وقد عبرت

(٩) أنوار الربيع ٦٧/٦ .

عن العجز بعدم الإيذاء أي بغير لفظه الموضوع له فهذا هو اصطلاح الكناية والتعريض معاً فأين هو الفرق .

قال أبو عبدالرحمن: الفرق الذي بني عليه الزمخشري اصطلاحه يتضح من القصد البلاغي لا من صورة تركيب الكلام .

ففي المثال الأول: أردت الإخبار عن شيء بغير اللفظ الموضوع له لغة وأنت لا تريد لفت نظره إلى عجزه أولفت نظره غيره لغرض بلاغي وإنما أردت الإخبار عن عجزه - سواء ألفت ذلك نظره أم لا - إثارة منك للتعبير غير المباشر .

أما في المثال الثاني فأنت لم ترد الإخبار عن إيذائه بلفظ غير مباشر، لأن قولك: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ليس خبراً غير مباشر عن الإيذاء بأي عرف ثقافي .

فإن قيل ذكر الحديث دليل على أنه حصل منه إيذاء قلت ليس المراد مجرد الإخبار عن حصول الإيذاء، وإنما المراد طلب كف الأذى فالواقع أن في هذا التعريض إخباراً عن حرمة الإيذاء لا حصول الإيذاء، وهذا إخبار صريح لا كناية فيه .

لهذا وجب تعديل عبارة الزمخشري هكذا: (والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على أمر يتعلق بشيء لم تذكره) .

فالمذكور هنا الخبر الزاجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغير المذكور حصول الإيذاء، والمتعلق بغير المذكور حرمة .

وليس بممتنع أن تشتمل الجملة على أكثر من ضرب بلاغي كقول أبي نواس: أليس ركوب الفحل في الحرب أجودا .

فركوب الفحل كناية عما اشتهر به أبو نواس وهو في نفس الوقت حسن تعليل للشطر الذي قبله .

وإذ تقرر كل هذا فالكناية إما لأمر مانع من التصريح ، وإما لأمر يغري بالكناية .

وهذه الموانع والدوافع لا يلتبس حصرها من تقنيات البلاغيين ، وإنما تستنبط من الشواهد الأدبية بعد معرفة خصائصها والفوارق بينها وهذا إنما يكون بعد سياحة أدبية طويلة وحسبي هنا أن أستجلي بعض الموانع والدوافع من عدد من الأمثلة التي ذكر الثعالبي في كتابه عن الكناية والتعريض .

فمن الموانع عن التصريح الدافعة إلى الكناية :

أن لا يجسر المخبر على التصريح بالمخبر عنه ككناية بعض الكتاب عن قطر الندي بنت ابن طولون بالوديعه^(١٠) .

أو أن يتذم المخبر من التصريح كالكناية بجملة : لا ترد يد لامس

أو أن يستقذر ويستقبح التصريح كقول الشاعر :

وإذا الكريم أضاع مطلب أنفه أو عرسه لكريهة لم يغضب

فكنى بمطلب الأنف عن فرج الأم ، لأن الجنين في عرف العرب إذا تمت أيامه في الرحم طلب بأنفه الموضع الذي يخرج منه^(١١) .

وبعكس ذلك قول المتنبي :

إني على شغف بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها

علق عليه صاحب بن عباد بقوله : كثير من العهر أحسن من هذه العفافة^(١٢) .

(١٠) الكناية ص ٥ - ٦ .

(١١) الكناية ص ٧ .

(١٢) الكناية ص ١٧ عن كتيب مساوى شعر المتنبي .

ومن الكنايات لهذا المانع قول بوران لزوجها الخليفة المأمون عندما زفت إليه وقد حاضت في غير الأوان: أتى أمر الله فلا تستعجلوه. كناية عن حالها^(١٣).

ومن الدوافع إلى الكناية من غير مانع عن التصريح:
أن الكناية تحقق غرضاً يريد المتكلم كقول الرسول صلى الله عليه وسلم لسائق الإبل التي عليها نساؤه: رفقا بالقوارير.
فهذا التعبير أدعى إلى الرفق بهن.

ومن الدوافع تلميح وتحسين ورفع المستهجن المردول كقول أبي حكيمة راشد بن إسحاق الكاتب كانياً عن الفرج:

وتقحمت مطامير الهوى فعرفت الضيق منها والسعة
قال أحد الأدباء معلقاً: إن من يكنى عن الأحرار والفقاه بمطامير
الهوى لمن شياطين الإنس الذين سخر لهم الكلام حتى قادوه بالين
زمام^(١٤).

وقد لا يراد بالتلميح الخبر عن حسن في الواقع وإنما ذلك للتسلل
إلى القبيح بطرف خفي كقول رجل سئل عن امرأة فقال فيها خصلتان من
خصال الجنة يكنى عن البرد والسعة^(١٥).

ومثل ذلك قول ماجن يكنى عن مفاخذة الغلمان:

لا أركب البحر ولكنني أطلب رزق الله في الساحل^(١٦)

(١٣) الكناية ص ١٤ - ١٥.

(١٤) الكناية ص ٨.

(١٥) الكناية ص ١٧.

(١٦) الكناية ص ٢٣.

ومن ذلك التفاؤل كالكناية بالعطار عن الكناس .

قال أبو إسحاق الصابي يذم ذوي الشذوذ:

كم من نضيف ظريف بات ممتطيا ظهر الغلام فأضحى وهو عطار^(١٧)

ومن ذلك الكناية بالسليم عن اللديغ وبالمفازة عن المهلكة
وبأبي يحيى عن ملك الموت وبأبي البيضاء عن الحبشي^(١٨).

قال أبو عبد الرحمن: ولا أعلم أحدا تناول الكناية من منطلق المفارقة
بين المانع من التصريح والدوافع إلى الكناية.

وقد يجتمع في الكناية المانع من التصريح والمغري بالإيجاء كقول
الرسول صلى الله عليه وسلم: حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك ففي
هذا دافع للكناية وهو التلميح والتشويق ومانع من التصريح وهو
استقبحه.

ومثل ذلك قول البحترى:

لم يخط باب الدهليز منصرفا إلا وخلخالها مع الشنف
فلما كنى عما يستحي منه أضاف إلى ذلك حسنة الإيجاز.

ومثل ذلك قول ابن الرومي في الهجاء:

ما مر من يوم عليه ليلة إلا وبعض غلامه في بعضه^(١٩)

فهذا تلميح يرفع الكلام عن مستوى التعبير المباشر الذي يضيق به
الأدباء وإن كاد يكون في حكم التصريح عند جمهرة المجان.

(١٧) الكناية ٢٦ .

(١٨) الكناية ٥٣ .

(١٩) الكناية ١١ .

وهذا الأنموذج جمع بين حسنة الإيجاز والكف عن التصريح
فما يستحي منه إلا أن المجان لم يقصدوا هذا الكف تجملاً منهم وإنما
غرضهم حسنة الإيجاء فقط فجاء حسن الكف بالتبع .

ومن أحلى الكنايات عن النصر قول الشاعر:

سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبراً
ولا يظهر لي أن العامة يعرفون الكناية كمصطلح أدبي ولكن
مثقفيهم يلمون بها كمدلول لغوي كقول ابن سبيل معتذراً عن تصريحه :

باهل الهوى من شارب الخمر شارات وفيهم من اللي يطرد الصيد شاية
شارات راعي الخمر سكرة وغشوات والصيد ولعه ما على الله كناية
وإليك نماذج مدروسة من كنايات الشعر العامي .

قال العوني :

اللي ورا الجدران تاخذه العدا وهو آخذ ما كان داخل بابها
فهو في الشطر الأول يكتفي عن ضعف وعجز عجلان أمير الرياض في
عهد عبدالعزيز بن رشيد .

فهو وصف لعجلان غير مباشر بالعجز فكفى عن هذا الوصف
بظاهرة من ظاهراته .

وقال إبراهيم بن جعيث :

وفيهن جضيعة نومة ومن عجزها تلقى العرق بجيوبها
فآخر البيت كناية عن عجزها وتكاسلها إلا أنه أضعف هذه الكناية
المليحة بالتصريح بالمكني عنه في أول الشطر الثاني والإيماء إليه في الشطر
الأول .

ويكثر في الشعر العامي التلميح لذكر المكني أو ذكره صراحة
أو المساعدة على تفسير الكناية ذاتها كقول العوني كانياً عن شدة الحرب
وكثرة الدخان .

ما نعرف الضحى من كثر خلق الله وين شمر هل العادات والجابة
وقوله في الخلوج :

شيا بكم تضرب على غير موجب من عقب كبر الجاه تنف سبالها
كنى في آخر الشطر الأخير عن الذل .
وقال دغيم الظلماوي :

مع كبش مصالح لك الله نجبه لا ادبر الهين متين العلابي
كنى في الشطر الأخير عن المستريح من أعباء الحياة .
وقال ابن ونيان :

مر هشيم ومر نوقد بجلة ومر نهرها ومر بلاشي
فكل جملة في هذا البيت كناية عن العسر واليسر .
وقال ابن جعيش يمدح أهل الرس :

من عاداتهم عز القصير ولا ينبح عليه لهم كلاب
فالشطر الأول كناية عن المنعة والوفاء ، والشطر الثاني كناية عن
الكريم .

وقال سليم بن عبدالحى يرد على هجاء ابن هويدي لمحمد بن سعود
وأعمامه :

اخطا وفزت به وساويس شيطان واسقاه ابو مرة بكاس الصيد

فأبو مرة كناية عن إبليس لتقبيح اسمه، وكأس الصديد كناية عن
قذارة شعر ابن هويدي.

قال أبو عبد الرحمن: والكناية كغيرها من المحاسن البلاغية منها ما هو
من ابتكار الشاعر أو من نوادر ثقافته.

ومنها ما هو عرف أدبي شائع كتكنية إبليس بأبي مرة.

وقال إبراهيم بن جعيش في مدحه لمحمد بن رشيد:

(أمين وحيش الدار يخشى ويرتجى).

فجملة وحيش الدار كناية عن المنعة.

وفي البيت إيماء لقول أبي ذؤيب الهذلي:

إذا لم تنفع فضر فإنما يرجى الفتى كيما يضر وينفع

ومن الكناية عن القرب قولهم: يا قرب سعد من دليل وهما
موضعان.

قال عبد الله بن محمد الصبي (مبيلش) يمدح الملك عبدالعزيز رحمه
الله:

هو عمود الدين ما شاف من فتق رفاء

كنه المهدي ويا قرب سعد من دليل^(٢٠)

وقال الشاعر كانياً عن الأصالة والثبات:

وان نشدني قلت ما نيب دعجاني من يمش الوسم من خد المطية

وقال ضيف الله بن حميد يكني عن عشرته القصيرة لزوجته الجديدة:

(٢٠) معجم اليمامة ٤٤١/١ و ٢٥/٢.

رعيت لي وسمية مير ما ابطيت يا ليتني سجيت فيها ليالي
ومن الكناية عن السرعة لأجل الخوف من الفزع قول شليويح
العطاوي:

ياما لمسنا قرصنا بالمشاعيب وياما دفعناهن ورا الشمس ساعة
ومن أملح الكنايات هذه الكناية عن صيانة النعمة وحسن السياسة:
عصا العز لا تومي بها كل ساعة خطر على عيال النسا يكسرونها^(٢١)
ومن الكنايات عن الإجهاز ومتابعة الشر قول ابن جعيش:

بعضهن تلحق الحمى مليلة تحطك في السموم عن الظلال
قال أبو عبد الرحمن: وهذه الكناية عرف أدبي، فالعامة تقول: ألحق
الحمى مليلة، وزاد الحمى مليلة^(٢٢).

وقال ابن صويط كانياً عن حلاوة الغاية بعد تعب الوسيلة.

ومن لا يخبث مارد ما شرب ماه ومن كدر الصافي شرب من زلاله
قال أبو عبد الرحمن: هذا تعميق لقولهم: من لا غير^(٢٣) شاربه
مادسمه، وذلك من محاسن الأخذ في مقاييس النقد.

وقال ابن جعيش كانياً عن الضيف وإن كان أضعف كنياته
بالتصريح:

وفيهن من ترحب به وضيفه الى حط العصا هي والنعال

(٢١) الشوارد ١٨٩/٣.

(٢٢) راجع الأمثال العامة للشيخ العبودي ٦٠٩/١.

(٢٣) راجع الأمثال العامة للشيخ العبودي ١٤٥٠/٤ - ١٤٥١.

وقال ابن سبيل كانياً عن التماس الحيل والأسباب:

الى عزمت فحط للرجل مرقاة من قبل يدري بك خطاة الربادي
والعامة تقول: حط لرجليك مراقي على سبيل التحدي.

وقال حميدان الشويعر:

يجي امور ما يعرف قياسها ويسدق دقة عوشز الجرادة

فالشطر الأخير تشبيه وليس كناية ولو قال:

(يصير بها عوشز الجرادة)

لكان كناية، لأن في الأول طرفي تشبيه هما دق الناس له، ودق
الناس - أي ناس - لعوشز الجرادة.

وفي الثانية لا ذكر للمشبه وهو الدق وإنما شبه الشخص المدقوق
بالعوشزة كناية عن الدق.

بمعنى أن كلا منها مستهدف.

وبهذا تعرف أن التشبيه من وسائل الكناية.

وقال محمد بن مسلم:

وما الوجه الاطول فتر وعرضه الى ضاع من يعطيك وجه تعاض به؟

فهذا كناية عن الحياء، وهذه الكناية تركة أدبية فالعامة تقول:
الوجه فتر.

وفي معناه ما هوب وجهي حيالة!

ففي هذا المثل الأخير كناية عن الحياء والسعة معاً.

وقال ابن لعبون :

يضحك على جرع ابرة له وزاروب ومن ضحكته يظهر مقابيلها هيب

قال أبو عبد الرحمن : أصل هذا في أمثال العوام الكناية عن ثقل المعروف والمنة فتارة يكون عن مجرد المجازاة بقولهم :

من قدم السبت يلقي الأحد .

وتارة يكون عن إرباء المجازاة فيقولون :

من بلغ إبره طلع هيب .

وبعض أهل القرى يقولون :

من كلا إبرة زقا نخط !

وابن لعبون نقل الكناية عن غرضها المشهور إلى الكناية عن الانبساط المسرف .

وقال حميدان الشويعر :

عنده لراعي الصاع موس جيد واللي بلا صاع له المكردة
فالشطران كناية عن النفعية سلباً وإيجازاً .

وهذا بيت مليء بالكناية لحمود بن قويل . قال :

يا عين من يحري ويذري ويلقى ويدي من القوم الحماقا حقوقها

وقال القاضي كانياً عن مخبر الإنسان وعدم التعويل على مجرد نسبه :

ولا يفتخر من جاد عمه وخاله هي بالهم لا بالرمم مثل من قال (٢٤)

(٢٤) الأمثال للعبودي ٥٧٣/٢ .

وقال سعد الحطيم الدوسري :

وانا حداني عنك حلوات الالبان لومك على اللي قاعد مستكن
كنى عن الإبل بحلوات الألبان، والكناية هنا وصف للإبل إلا أنها
لم ترد لمجرد الوصف بل جاءت للترغيب في الإبل ومدحها.

ويكنى عن الأمهات أيضاً بحلوات اللبن وترد هذه الكنايات تعريضاً
بلبن المرضعات.

وقال حميدان الشويعر:

والذي يرتجي الفضل عند اللثام مثل مستفزع صاح في مقبرة^(٢٥)
والعامة تقول: صياح مقبرة كناية عن تغافل المنادي وتجاهله، وفي
ذلك التفات لقول شاعر الفصحح:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي
ويقرب منه: استسمن ذا ورم ونفخ في غير ضررم.

وقال مدوخ بن العمى بن ضمنة:

وصبه على اللي ربعته يدهلونه مع دربه الخلفة تضيع ولدها
فالشطر الأخير كناية عن كثرة الأتباع بحيث خفيت المعالم على الناقاة
الباحثة عن ولدها.

وقال حميدان الشويعر:

لولا رجاله راح ماله صلحة ودقوه دق مثل دق ام الجرا

(٢٥) الامثال للعبدوي ٧٣٧/٢.

فالشطر الأخير كناية عن كثرة الوافدين من ضيوف ويكنى بأَم الجرا
عن الأم وصغارها إذا حلوا ببیت صديق أو قريب اكتسحوا نعمته وقلبوا
نظامه .

ومثل ذلك قولهم : دقوا ترابه . كناية عن كثرة التردد وقولهم : حط
على بيته جادة .

وقال ابن لعبون :

امك وأبوك وكل ذيك القرابات ما أحد يسد السيل عنك بعباته

قال أبو عبد الرحمن : أصل هذه الكناية عند العامة هكذا (سد السيل
بعباتك) يقال على سبيل التحدي كناية عما هو فوق طاقة الإنسان .

وقال حميدان :

واحذر بالأصحاب بطيني انظر عينيه وحاجبها

فالبطيني كناية عن الرجل الأكلول وعن الطفيلي .

وقال حميدان :

حناها وادعى رجليها ما بين الكتف وصرصوره

قال أبو عبد الرحمن : هذه كناية عن الجماع الغرض منها الإيجاز
كقول الشاعر الفصيح :

ترفق قليلاً قد أوجعتني وألصقت قرطي بخلخالها

وقال البحتري :

لم يخط باب الدهليز منصرفاً إلا وخلخالها مع الشنف

وقول أبي بكر الطبري :

كسرق اللحاظ إلى عروس وعند سواء تضطرب الحجول
وقوله :

والشأن في ظنك الظن الجميل بها وطال ما أوجعت كتفي رجلاها
وانظر إلى كعبها تبصر به ندبا من طول ما خدش الكعبين قراطها (٢٦)
قال أبو عبد الرحمن : وحدثت أن رجلاً كريماً قال :

يا العتيبي كيف تأخذها طويلة كيف ترقاها وتجني ثمرتها
فأجابه العتيبي :

يا طويل العمر تأخذها بحيلة لين احط رجولها عند قصرتها
وقال عبدالله بن ربيعة :

بندر إلى لز الحقب للحزاما حماي زمل مخدرات بالكتاب
فالشطر الأول كناية عن تأزم الموقف ومثله قول عبدالله اللويحان :
إلا يا نجد يا منتج رجال تعطب المضراب

ترانا درعك الضافي إلى جا حزم كلاب
واعطاب المضراب كناية عن إثخان العدو، وحزم كلاب كناية عن
الشدة.

وقال العوني :

يلومني دحش خياله يغره نوم الصفر يرث بوجهه غيارة
فهذا كناية عن كبر الجسم وعن الكسل .

(٢٦) هذه النماذج من كتاب الكنايات للثعالبي ص ١١ .

وقال العوني كانياً عن السرعة :

يا طارش من فوق سراقه الوطا هميم إلى سارت ذعرها ظلالها
وتستعمل هذه الكناية أيضاً في التورع عن حقوق الآخرين وفي
احترام الأوامر الشرعية أو السلطانية فيقولون : فلان يربعه ظله .
كما تستعمل كناية عن عدم تحمل الأعباء .

وقال ابن جعيثن :

تهتم لهمومه وتجلي همه صميل دو في ليالي شوبها
فصميل الدو كناية عن تبريدها لمصائب زوجها .
وقال ابن جعيثن :

تروح وتشتكي عند المطوع تقول للشيخ عطني حبالي
فهذا كناية عن الطلاق :

قال أبو عبد الرحمن : وقد تكون الكناية إخباراً بمعنى خاص عن معنى
أعم كقول راشد الخلاوي :

ومن عود الصبيان ضرب بالقنا نخوه يوم الكون يا أبا العوايد
فهذا كناية عن احتياجهم له في غير الحرب .
وقال ابن جعيثن :

وفي الناس حاوي العلم في زي عابد بلوع البعير وبالغدير غصوص
قال أبو عبد الرحمن : أصل هذا قول العامة :

يبلغ البعير ويغص بالماء ، ويشبه هذه الكناية قول ابن عباس رضي
الله عنهما لشيعه العراق : تقتلون الحسين وتسالون عن دم البعوض !!

ومن الكنايات عن انكشاف السر قولهم :

قال وش اللي ما يبين يا رسول الله قال اللي ما يكون .

وقولهم : ما غط بان . قال الأمير غزالان (محمد بن سعود بن الإمام فيصل) :

والناس مثل الناس ما غط بان ومن قال أنا الطيب يعابيه ابن من إلا أنه نقل الكناية عن موضوعها الدارج إلى الكناية عن القوة بعد الضعف .

ومن الكناية عن فقد الشيء قول سعد بن قطنان :

في ليلة نبح الضرايا ونين ولا زاد إلا عند من لا يبيعون وقال نبهان السنيدي :

علي ميح دليكم لين تمتلي وعلى الله اظهار الدلي من قليبها قال أبو عبدالرحمن : يقرب من هذا قول أحمد شوقي :

لك نصحي وليس عليك جدالي آفة النصيح أن يكون جدالا ويقرب منه أيضاً قول الآخر من وجه أعم :

علي أن أسعى وليس [م] علي إدراك النجاح وقال حميدان الشويرع عن الجوع :

كان ادهك به غير ينكر عقب الصمعا صلف نهقه قال أبو عبدالرحمن : الشطر الأخير كناية عن الطغيان بعد النعمة .

قال أبو عبدالرحمن : ومقضاة ابن درمة تصلح كناية عن أخذ الثأر ولكن حميداً الشويرع أضعف هذه الكناية بالتفسير . قال :

وخلي مقضاة ابن درمة مختلط دمه بعرقه
وكفى ابن جعيثن الدنيا بسلمى على سبيل الفأل.
قال:

(أرى صرف سلمى دمرت كل عامر)

وتقول العامة:

لا بد صياد الفهود يصاد كناية عن تقلبات الدنيا.

قال ابن جعيثن:

فلا ييأس العاقل والأيام تنقضي كما قيل لا بد صياد الفهود يصاد

وقال محمد المهادي كناية عن ضرورة الأسفار:

ترى ظبي رمان برمان راغب والأرزاق في الدنيا وهو ما درى بها
وقال حميدان:

من بقي معه مال فهو غالي يكنسون الحصا بالعصا من ثره
فالشطر الأخير كناية عن النفعية.

وقال ابن لعبون:

والكل هذا رايم ذا وذا له طيزين هو وايا رفيقه بسروال

قال أبو عبد الرحمن: الشطر الأخير كناية عن الخلة الصادقة ومثله
قول العامة:

فلان وفلان مثل زب الحمار ما فيه مفصل!

وهذان بيتان لحميدان الشويرع مليئان بالكناية.

قال :

والعالم يدخل ما يطلع سحما تأكل ولا تحمى
يحب الكامد والجامد من مال الغير إلى ولما^(٢٧)

وكنى حميدان يتجاذب الدلي من البئر عن العهر فقال :

لا تضم التي يطوح طيها الضحى وأنت بالمقبرة تقبر
وقال ابن لعبون :

الصدق يبقى والتصنع جهالة والقد ما لانت مطاويه بتفال
فهذا كناية عن عدم الجدوى من الأسباب الضعيفة .
قال حميدان :

وإلى جاك الولد زملوق خندق ومن نوم الصفر غاش صفاره
فهذا كناية عن ريبب النعمة غير الجدير بتحمل الأعباء .
وهذه الكناية تحوير لقول العامة : عشبة غار .
وقال ابن لعبون :

احسب رفيقي يستحي من ظلاله واثره إلى شاف المواليم خيال
ففي الشطر الأول كناية عن شدة الحياء .
وقال حميدان :

ترى هناك ما يأخذ زمان كمقلع شيحة ماله قرار

(٢٧) راجع الأمثال للمبودي ٢/٦٣٢ - ٦٣٣ .

والعامة تقول: مقلع شريحة كناية عن لا قرابة له وعن هاجر من بلد وليس له فيها ملك.

وقال ابن جعثن:

قلته وأنا مالي على الناس تكليف انصح وسيفي مغمد في غلافه
فالشطر الأخير هو محل الكناية ويشبه قول الفصحاء:
هذا رأيي أعرضه ولا أفرضه.

وقال محمد القاضي كانياً عن التزام الإنسان بوعدده:

والرجل بالواجب لسانه عقاله لا قال علم تم لو حال به حال
ومن الكناية عن الانعزال عن الناس قول الشاعر:
طول الجدار وقصرة الرجل نوماس لا عاد ما للرجل داع دعاها
ومن الكناية عن النصر والهزيمة قول الشاعر:

أما يجيك الغوش يرثع بنوماس والا عليه الطير يا مسندي حام
وقد ترد الكناية في مسرد الحكمة ككناية الخلاوي عن وضع الأمور
في غير مواضعها بقوله:

شرب على غير الظما بجرح الحشا وقرب على غير المودة لاش
وقالت بنت فراج تكني عن إثنان العدو وعن الشكل بقولها:

ان كان ما منكم رجال مدالي سباع وتأخذ الطاق مطبوق
عسى نساكم ما تجي بالعيال وعسى عليكم جيب الأحباب مشقوق
ومن الكنايات عن التصميم قول عبدالله بن سبيل:

سيل النحا ما ينعدل عن مجاريه وان عرض السندا ياكود غليانه

والمهتوي طرد المها ما يعنيه كنه على زل العجم بعديانه
وقال حميدان:

دايم شهب ملاغمهم واحدهم يشرب ما بيرة
فهذا يصلح كناية عن أكل الطعام المالح .
وقال حميدان في ابنه مانع:

حاط حرمتين جعل ماهوب زين جعل عقب هذا يهدد الشري
فهيد الشري كناية عن الفقر .
وقال العوني:

إن ساعف المعبود دور الليلة خيله تركز في سماح احرابها
فهذا كناية عن الظفر ومثله قول السعدي البواردي يتهدد الهیضل:
هم عندك صباح تعينا في محلك نكسر عزاوننا
ويريد العوني بئراً في قصر ابن رشيد وقد رأى الملك عبدالعزيز رحمه
الله رؤيا منام انه يشرب من بئر سماح فقال عبدالعزيز بن متعب الرشيد
يرد على الملك عبدالعزيز:

مهبول يا داير منيرة دونه مزاريق الرماح
ما دام راسي ينقل الما والله ما تشرب سماح
وهذه أبيات لحميدان الشويرر كلها كناية:

واربع ينزلن الفتى للزراج لين تبرى جنوبه بيان صحاح
روشن عالي فوق كل الملا مغلق ما هوته الوجيه السماح
ومكاشخ هدم بغير القدا أو ذليل يرزق طوال الرماح

اورباعية فخرها بالحمام هي نفاد الدوا ما تعرف الصباح^(٢٨)

وتكون الكناية بالإضافة إلى بعض المكني عنه كقول القاضي:

واليوم يا قلب الخطافات ما غير يذرا النفس مني تحملت الاوزار

فهذا كناية عن تورط القلب في العشق، وتورط القلب في غرام وراء غرام ليس بمستحمد في الشرع ولا في العرف، ولهذا كان خاطئاً.

ويكونون عن الشجعان المعتادين إرخاء السيف في المعارك بخطلان الأيدي.

قال مناحي الهيضل:

خطلان الأيدي ما لهم ميدان الخبل والطيب سوا

ويكفي البدو بأخطل الأذن عن غير النجيب.

ويكونون عمن يعد بأواعد لا تتحق إما لكذبه وإما لضعف الأسباب بقولهم:

(حط له الدنيا ورق بلا شك)، (وعطاه القمر في يد والشمس في يد).

قال العوني بما يصلح عكسا لهذه الكناية وهو كناية عن المستحيل:

يا طالبين الحكم مهلاً ترفقوا رويداً ترى قضب النجوم عسار

ويكونون عن الإصرار على الإنكار بقولهم: ازبن طويق.

ويكونون عن الافلاس بقولهم:

ما عنده ما يدبع ذنب الهر.

(٢٨) كناية عن بندق لا تقتل غير الحمام.

وقال القاضي :

وكم من بخيل فرش الخلق ماله

وهو منه محروم على نفسه اتلاف

كوصف ابرة عريانة دب دهرها

وهي تكسي المخلوق من قمش الأصناف

وهذا كناية عن الإيثار وقد أورده الشيخ العبودي بعنوان (مثل الإبرة

تكسي الناس وهي عريانة).

وقال: وهو مثل شائع الاستعمال في الشعر العامي النجدي^(٢٩).

قال أبو عبدالرحمن: لا أعلم له شهرة في غير شعر القاضي وقد

أورده الشيخ العبودي، وذكر أصله من الأدب الفصيح، ويبدو لي أن

العامية إن كانت تستعمل هذه الكناية مثلاً فعن طريق القاضي أخذته.

والقاضي تحاشي التشبيه بالشمعة لشهرتها وشبه بالإبرة لندرة هذا

الاستعمال عند العامة على أن القاضي حول الكناية من الإيثار إلى الكناية

عن تصرف البخيل.

ومثل ذلك الكناية بالشمعة.

قال ابن جعثن:

على ما قيل انا مصباح غيري ولا سریت نفسي من خبالي

ولوح إلى هذا المعنى بطرف خفي محمد القاضي في قوله:

مثل العسل شمع على الضد مذيوب واشفى منه واحلى لوده بلا ريب

ومن الكناية عن حاجة الإنسان إلى مساعد قول مقحم الصقري:

(٢٩) الأمثال ١٣١٨/٤.

الطير لولا كمشة الريش ماهد لو هو كبدي الحرار البتعات
والسيف لولا خمس الأصابع ماقد لا صاروحده ماشفى القلب باهوات
وقول ابن سجون:

يمنى بلا يسرى تراها ضعيفة ورجل بلا ربع على الغبن صبار
ولا تتوهم أن الصقري يصف السيف والطير وأن ابن سجون يصف
اليمنى والرجل بل مقصدهما الكناية بهذه الصبغ الوصفية.

وكنى حميدان الشويعر عن الجوع بأبي موسى على التشبيه بالموسى
الذي يخلق الشعر:

ولقيت اجوع ابو موسى بانى له بيت بالحجرة
وقد تكون الكناية مرادفاً لغوياً لا عرفاً أدبياً، فيضيع المعنى البلاغي
كالتعبير بالسخونة عن المرض لدى العامة.

ويقولون: من طاول أطول منه فهو أهبل منه كناية عن الترفع عن
مقارضة ذوي السفه واللجاجة.

قال القاضي:

ومن طاول اطول منه ما استر ساعة يجاهد جنود ينقسم رايتها انصاف

وقال الإمام تركي بن عبدالله بن سعود:

ان سابلوا عني فحالي تسرا قبب شراع العز لو كنت داري
كناية عن النصر.

والكناية ظاهرة في دارج كلام العامة، وقد أفرد العلامة أحمد تيمور
الكنايات العامية المصرية بكتاب خاص فاصلاً لها عن الأمثال، وكتب

سليمان محمد سليمان فصلاً طويلاً جيداً عن الكناية في عامية مصر بكتابه
العامية في ثياب الفصحى .

ودرج بقية الباحثين على دمج الكنايات مع الأمثال لأن المراعى في
المثال أن يكون سائراً ويقال في مناسبته والكنايات بهذه الصفة .

فمن كنايات العامة في نجد قولهم :

انقلب الغزل صوف كناية عن النتائج العكسية .

ويقولون في الفخ أكبر من العصفور كناية عن حدوث أمور أخطر من
المتوقع .

ويقولون : فلان ما يدري هي تطشش والا تجغم كناية عن البلاهة .

ويقولون : على عينك يا ابو تاج [وهو السلطان] كناية عن الأمر
العلني .

ويقولون يطلب طلي وفي بطنه علي . كناية عن الطمع والتنطع ولعل
هذا يشبه قول ابن عباس رضي الله عنهما لأهل العراق :

تقتلون الحسين وتسالون عن دم البعوض .

ويقولون : فت من بعره وخط على ظهره كناية عن مقاضاة الإنسان
من ريع سلعته وما أشبه ذلك .

ويشبه هذه الكناية قولهم : أوفاه من لحم ثوره .

ويقولون خط راسك في القلص كناية عن الاتكالية وعند عوام مصر
خط راسه في الجراب كناية عن معنى آخر^(٣٠) .

(٣٠) انظر الكنايات العامية لأحمد تيمور ص ١٩ .

ويقولون: خلق الله حسن. كناية عن السماحة والقبح فكأنهما تخرج
مقدم.

قال سليمان بن علي:

جل الخالق يا خشم له لو هو يشوفه ما شاله
ويقولون: خوفك يا الرفلا وكليه. كناية عن جناية الإنسان على
نفسه.

ولعل هذا يشبه من الفصيح قولهم:

يداك أو كتا وفوك نفخ

ويقولون: راح تعبى كحل باكية - رحنا دهنة محالة - رحنا صلحة.
وكل ذلك كناية عن ضياع الجهد وفداحة الخسارة، ومثله قولهم: كلام
يطير به الريح.

قال ابن أبي حجلة يهجو الصفدي:

نسب المعاني في النسيم لنفسه جهلاً فراح كلامه في الريح^(٣١)
ويقولون: كلام الليل يحويه النهار كناية عما لا أثر له وهو مأخوذ من
القرآن الكريم.

قال أعرابي من بني ربيعة كما في جذوة المقتبس:

كلام الليل مطلي بزبد إذا طلعت عليه الشمس ذابا
ومثله قول ابن جويعد:

كل من كثر هرجه صار ها ذورة من يشيله الى سمر مع الماية

(٣١) الكنايات العامية ص ٢٧.

ويقولون: يا من عين الزبدة على خشم الذبيح كناية عن طلب
الميؤوس إذا كان مستحيلاً.

ويقولون: فلان يسرق الكحل من العين. كناية عن مهارة السارق
وأنه يسرق أي شيء.

قال شاعر الفصيح:

ما زال كحل النوم في ناظري من قبل إعراضك والبين
حتى سرقت النوم من ناظري يا سارق الكحل من العين (٣٢)

ومن كناياتهم عن مخالفة الواقع للمراد قولهم: بغاها طبة وصارت
طيحة.

ويقولون: جنة حمار ثغب وثيل كناية عن النعمة.

ويقولون: عوافي كناية عن ضعف العدو كقول الشاعر: ابشر بطول
سلامة يا مربع.

وقد كان بعض أهل البلدان يغنون غناء الحرب في مجلس الملك
عبد العزيز رحمه الله وقد حار شاعرهم عند قوله: (جنيناك با ولاد
الحمائل).

ولم يفتح عليه بغير هذا الشطر وكان يحضر المجلس فهد بن مقرن من
آل صالح من بني زيد أهل شقراء فاندس في صفهم وأملى عليهم هذا
الشطر:

(يوم انها صارت عوافي)

(٣٢) الكنايات العامة ص ٣٣.

وظلوا يغنون بهذا الشطر ولم يعلموا أنه عليهم لا لهم فلما علموا
بورطتهم هموا بضرب ابن مقرن لولا أنه استجار بالملك عبدالعزيز
ولم يفتنوا إلى هذه الورطة إلا من خلال ضحك الملك عبدالعزيز المتكرر.

ويقولون عرفها وهي طائرة. كناية عن البديهة.

ويقولون: من لا غبر شارب مادمه كناية عن وجوب الحرفة
والعمل.

ويقولون: ما خلى في جلده مخرز كناية عن الإسهاب في الغيبة
ومثله: قطع جلده.

ويقولون: صيح إذنه كناية عن الكلام في الغائب بخير أو شر.

ويقولون: فلان تفوحه الخوصة كناية عن عدم التحمل ومثله عند
المصريين: غرق في شبر مية.

ويقولون: رضح على راسه العبس كناية عن الصبر على المضض
ومثله عند المصريين كتم الدم على القيح.

ويقولون: بوله بالقطنة كناية عن نجابة العرق.

ويقولون: حرك تبلىش كناية عن التورط في أمر لا نهاية له، ومثله قولهم: يحفر
في نفود.

ويقولون: ولم العصابة قبل الفلقة كناية عن التحسب للأمر قبل
وقوعه.

ويقولون: الدبس ما يلحق إلا شديق لا حسه كناية عن نزاهة البريء
رغم المقالة.

ويقولون: عض ريام كناية عن الإلف رغم التحرش.

ويقولون: وراه النجوم في القايلة كناية عن شدة المضايقة^(٣٣).
 ويقولون: خلها تاطا والله يا قا. كناية عن العمل والتوكل معاً.
 ويقولون: اذبح تريح. كناية عن اغتنام الفرص.
 ويقولون: كل ادري بظلمنا داره كناية عن التفرد بالعلم ومثله في
 الفصيح: أهل مكة أدري بشعابها.
 ويقولون: جلبك الجلاب واستافا الثمن. كناية عن حصول المرء
 على ماله أو غريمه.
 ويقولون: ياكل اللي يصيح كناية عن عدم التخرج.
 ويقولون: ما يهوش ولا يلقط حصى كناية عن عدم المنفعة وقلة
 الجدوى.
 قال الثعالبي:
 فإذا كان فضولياً داخلاً فيما لا يعنيه متكلفاً ما لا يلزمه قالوا: هو
 وصي آدم على ذريته.
 وقد توضع هذه الصفة موضع المدح كما قال الشاعر:
 وكأن آدم حين حم حمامه وصاك وهو يجود بالحواء
 بينه أن ترعاهم فرعيتهم وكفيت آدم غلة الأبناء^(٣٤)
 ويقولون: ما يقول لا ولا يقول كمكم كناية عن الشجاعة والكرم.
 ويقولون: طقة في راس غيري مثل صدع في جدار كناية عن الأنانية
 كقول أبي فراس:

(إذا مت ظمّانا فلا هطل القطر)

(٣٣) راجع عن أصل هذه الكناية كتاب الكنايات العامة ص ٦٧.

(٣٤) الكناية ص ٣٧.

وعكسه قول أبي العلاء المعري :

فلا هطلت علي ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا

ويكنون عما لا نفع فيه بقطعة مصلوخ - زب طين - خصى .

ويكنون عمن حياته غير ناعمة بقولهم :

ابن جبر من طيز امه إلى القبر .

ويقولون عمن يكيد في الخفاء كيداً خطيراً :

داب ترى .

ويقولون عن الجهد الضائع : عرس ختلا .

وختلا عجوز شمطاء تمني نفسها بالزواج فتقيم في كل فترة حفلة

زواج فإذا انتصف الليل ولم يصل العريس المزعوم قوضت حفلها وقالت :

جعله للضربة سافر!! .

ويكنون عما يثير من الأمور الحقيرة بقولهم : القراد يثور البعير . قال

عبيد بن علي بن رشيد :

عندك خبر ما حركوا طبله الراس مار البعير اقزاه مشي القراد

ومن كناياتهم في عكس ذلك قولهم : مادري عنك يا اللي تغمز في الظلام .

وقولهم : قالت البقة للثور تمسك تراني ابا طير قال : والله مادريت

إنك فوقى .

ومثله قول العوني :

ان كان انا اخطيت هو من يدمح الخطا طويق ما ثقله حافي ونعال

ومن كنياتهم عن جدوى الأسباب الضعيفة قولهم : العصفور يهزع
الرشا.

ومن كنياتهم عن تعالي الوضع قولهم :
لابوك هتامة عافتها سعيدة.

وسبب ذلك أن أحداً أمراء هتيم تهددته مملوكته سعيدة فقالت :
والله إن خليتك إني ختيمية (هتيمية)، فقال : لابوك هتامة عافتها
سعيدة!!.

* * *

وعن الظاهرات البلاغية أتناول ها هنا المبالغة والإغراق ممهداً
بأعراف أصحاب الأدب الفصيح.

فالغلو في اصطلاحهم غير ممكن عقلاً ولا عادة.

والغلو مقبول فإن أفضى إلى الكفر كان قبيحاً مردوداً.

وأحسن الغلو ما دخل عليه ما يقربه إلى الصحة ككاد ولو ولولا.

والغلو يكون عملاً خيالياً إذا لهث وراء المستحيل فلا يعدم أحد
الحسنين لأنه إما مجسد لفكرة شعورية بإيجاء مليح دون تعبير مباشر كقول
الشريف الرضي :

يا ليلة كاد من تقاصرهما يعثر فيه العشاء بالسحر
فلو أراد وصف قصر العشاء حقيقة لكان هذا الغلو ساجماً ولكنه أراد
وصف شعوره الذي يقصر حقيقة وإن كان الزمن طويلاً في الواقع.

وإما أنه لا يجسد فكرة بصورة مقبولة لبعدها عن الواقع بيد أن هذه

الصورة جميلة إن جردت عن هدف الشاعر لغرابتها عن التخيل إلا لخيال
خصيب كقول ابن دانيال يصف جسم العاشق الناحل:

ورق فلو حركته الصبا لصار نسима وعادت قضيبا

قال أبو عبد الرحمن: فها هنا قيمتان فنيتان لا تفسد إحداهما لفساد
الأخرى.

فالقيمة الأولى: تجسيد فكرة النحول بأي تشبيه نادر يقربه من
الواقع، وهذا ما أخفق فيه ابن دانيال، لأن هذا الجسم الذي ذكره لا
وجود له في الواقع.

والقيمة الثانية: براعة ابن دانيال في تخيل جسم بهذه الصورة وهذا
ما لا يخطر في كل تخيل، فالقيمة ها هنا جمالية خيالية بحتة.

وشيخنا الإمام ابن حزم رحمه الله لم يحكم في مثل هذه النماذج
إلا القيمة الأولى فقال:

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الإكثار منه [أي الشعر] وإنما ذلك لأنه
كذب إلا ما خرج عن حد الشعر فجاء مجيئ الحكم والمواعظ ومدح النبي صلى
الله عليه وسلم، وأما ما عدا ذلك فإن قائله إن تحرى الصدق فقال:

الليل ليل والنهار نهار والبغل بغل والحمار حمار
والديك ديك والحمامة مثله وكلاهما طير له منقار

صار في نصاب من يهزأ به ويسخر منه ويدخل في المضاحك، حتى
إذا كذب وأغرق فقال:

ألف السقم جسمه والأنين وبراء الهوى فما يستبين
لا تراه الظنون إلا ظنونا وهو أخفى من أن تراه الظنون

قد سمعنا أنينه من قريب فاطلبوا الشخص حيث كان الأنين
لم يعيش إنه جليد ولكن ذاب سقماً فلم تجده المنون
حق وملح (٣٥).

ولمراعاة القيمة الأولى قال: (حق)!

ثم لمح للقيمة الثانية فقال: (وملح).

ومما يؤكد استقلال القيمة التحليلية أن تجسيد فكرة رقة العذارى
قيمة فنية بأي تشبيه أو وصف يقرب الفكرة إلى العشق الجسدي الصرف
فإذا كانت هذه الصورة لا تستثير شهوة الجسد سقطت القيمة الشعورية
وبقيت ملاحظة الصورة الخيالية كما نجد في قول النظام:

توهمه طرفي فآلم خده فصار مكان الوهم من نظري أثر
وصافحه كفي فآلم كفه فمن صفح كفي في أنامله عقر
ومر بذكري خاطراً فجرحته ولم أر خلقاً قط يجرحه الفكر
وقد علق الجاحظ على ذلك بقوله:

هذا لا ينبغي أن يذاك إلا بأير من الوهم.

وسمع النظام قول أبي العتاهية:

إذا هم النديم له بلحظ تمشت في محاسنه الكلام

فقال: ينبغي أن ينادم هذا أعمى!

ومن غلو النظام الذي لوح إليه ابن حزم قوله:

ظبي بدا يأنس بالإنس يجرح باللحظ وبالمس

تَحَارَ عَيْنُ الشَّمْسِ فِي وَجْهِهِ كَمَا تَحَارَ الْعَيْنُ فِي الشَّمْسِ
لَوْ صَاحَ بِالْمَيْتِ عَلَى غَفْلَةٍ أَجَابَهُ الْمَيْتُ مِنَ الرَّمْسِ
وقوله:

رَقَ فُلُو بِزَتْ سِرَاوِيلَهُ عَلِقَ بِالْجَوْ مِنْ اللَّطْفِ
يَجْرَحُهُ اللَّحْظُ بِتَكَرَّارِهِ وَشَتَكِي الْإِيْمَاءِ بِالْطَّرْفِ
ومن غلو النظام الذي لوح إليه ابن حزم قوله:

نَظَرْتُ إِلَيْهِ نَظْرَةً فَتَحِيرَتْ دَقَائِقُ وَهْمِي فِي جَلِيلِ صِفَاتِهِ
فَأَوْمَى إِلَيْهِ الْوَهْمُ إِنِّي أَحْبَبُهُ فَأَثَّرَ ذَلِكَ الْوَهْمُ فِي وَجَنَاتِهِ
وقوله:

حَرَكَاتُ الضَّمِيرِ تَوَثَّرَ فِي الْخَدِّ [م] وَيَدْمِيهِ وَهْمُ لَحْظِ الْعَيُونِ
رَقَ حَتَّى لَوْ لَامَسْتَهُ أَذَابَتْهُ [م] بِإِيْمَائِهَا يَدَ الْمَكْنُونِ
ولمراعاة القيمة الثانية صرح البلاغيون بأن الغلو يستحسن وإن لم ترد
فيه أداة التقريب لأنه تضمن نوعاً حسناً من التخيل، ومثلوا له بقول
المتنبّي:

عَقَدْتُ سَنَابِكَهَا عَلَيْهَا عَثِيرًا لَوْ تَبَتَّغِي عُنْقًا عَلَيْهِ لَأَمَكْنَا (٣٦)
قال أبو عبد الرحمن: أعد بيت أبي الطيب هنا مبالغة لا غلواً، لأن
الغبار كثر فأوهم البصر أن الرجل تسير عليه.

ولقد راعى ابن معصوم القيمة التخيلية فقال:

ومن الغلو المقبول، ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة كقول

(٣٦) العنق: ضرب من السير.

أبي الشكر محمود بن سليمان بن سعيد الموصلی المعروف بابن المحتسب من
قصيدة:

أمر بالكرم خلف حائطه تأخذني نشوة من الطرب
أسكر بالأمس إن عزمت على الشرب غدا إن ذا من العجب
فإن السكر في الأمس للعزم على الشرب في الغد محال، لكنه مقبول
لإخراجه مخرج الهزل والخلاعة، وذلك مما تميل إليه الطباع^(٣٧).

وأكد هذا بقوله بعد حشد عدد من الأمثلة:

فهذه الأمثلة كلها من نوع الغلو الذي لم يؤت فيه بأداة التقريب،
ومنها البديع المستحسن، والمقبول غير المستهجن كما ترى، فظهر لك أن
حسن الغلو غير مقصور على ما قرب من الإمكان بأداة التقريب كما زعم
ابن حجة في شرح بديعته^(٣٨).

أما الغلو المخرج إلى الفسق أو الكفر أو العلمانية المتعمدة فلا ننظر
إليه بأذن قيمة فنية^(٣٩) لأن القيمة الجمالية فضلة بالنسبة لإيجابيات الفكر،
وليس هذا الحكم من فحيح الزمن الغابر في مباهج القرن العشرين كما
يقول المتسرعون، فهؤلاء أدباء الشيوعية والبعثية يقدمون إيجابياتهم على
جماليات الفن في نقدهم من واقع أدلوجيتهم الفكرية.

ولن أطيل في استجلاء سخافة المبالغات في هذا السفر اكتفاء برصد
لي نشرته بعنوان (الضحك على الأذقان) بأحد أسفار كتابي الفنون
الصغرى.

(٣٧) أنوار الربيع ٢٤٠/٤ - ٢٤١.

(٣٨) المصدر السابق ٢٤٤/٤.

(٣٩) انظر المصدر السابق ٢٤٥/٤ - ٢٥٦.

فأنت ترى أن الإغراق والغلو يدوران عند البلاغيين حول الإمكان عقلاً وعادة .

وقد شطحوا فجعلوا ما كان ممكناً عقلاً هو ما تعلقت به قدرة الله يوضح هذا النص لابن معصوم عند استعراض مستملح الإغراق حيث عد ضمن ذلك نوعاً من الغلو فسماه مبالغة .

وقول الآخر مع بديع التلميح ، وهو معدود من محاسن شواهد هذا النوع :

فلو أن ما بي من جوى وصبابة على جمل لم يبق في الناس كافر يريد أنه لو كان ما به من الحب على جمل لنحل حتى يلج في سم الخياط فيخرج الكفار من النار، لأنه تعالى قال ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ فلمح إلى الآية بناء على ظاهرها، وإلا فالمراد بها التأييد. قالوا: ونحول الجمل حتى يدخل في سم الخياط غير مستحيل عقلاً، إذ القدرة صالحة لذلك، لكنه ممتنع عادة^(٤٠).

قال أبو عبد الرحمن: هذا من الغلو لا من الإغراق لأنه مستحيل عقلاً إلا أن شطحة ابن معصوم أخرجتني إلى رسم هذه الملامح :

١ — أن المستحيل العقلي الذي يجب مراعاته في تحديد قيم الأدب الفنية لا ينظر إليه بمنظار القدرة الإلهية لأن قدرة الله مهيمنة وإنما ينظر إليه من مذخور التجربة البشرية فليس في معهود الحس البشري أن جملاً ولج في سم الخياط فهذا معنى الاستحالة عادة، وليس في تصور العقل أن هناك وسائل من الممكن أن تجعل الجمل يدخل في سم الخياط إلا بتغيير هوية الجمل فهذا هو المحال العقلي.

(٤٠) أنوار الربيع ٢٢١/٤ .

٢ - المحال عقلاً وعادة في هذا المثال ليس هو دخول الجمل في سيم الخياط، وإنما هو كون الجمل في هذا الحجم من أجل الصبابة.

٣ - المحال عادة أمر نسبي فقد يكون محال عادة لدى جيل ما ليس محالاً في جيل بعده لتقدم وسائل المعرفة البشرية.

وللغفلة عن هذه الملامح رأيت البلاغيين يعدون في الإغراق شواهد هي من نماذج الغلو كقول عمر بن الفارض:

كأنني هلال الشك لولا تأوهي خفيت فلم تهد العيون لرؤيتي
فأي إمكان عقلي في هذا؟.

نعم قد يرى شبح الناحل من بعيد كهلال الشك إلا أن مسافة بعده إن كانت بحيث يسمع تأوّهه فلا يمكن أن يرى كهلال الشك.

إنما مثال الإغراق الصحيح قول عمرو بن الأيهم:

ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا
فالعقل يتصور وسائل بشرية ممكنة تلاحق الجار حيث ما مال
بالكرامة.

فهو ممكن عقلاً، وليس ممكناً عادة لأن ظرف القائل ابن الأيهم وأبناء جيله لا تمكنه من تحقيق هذا الادعاء.

والإغراق في عرفهم ادعاء الممكن عقلاً المستحيل عادة.

وقد توجد قيم أخرى تسقط القيمة التخيلية كقول ابن حجاج:

وراحة لو صفت حاتماً علمت الجود قفا حاتم
فجلال حاتم في القلوب يسقط كل قيمة فنية تهين هذا الجلال.

وكما خلط البلاغيون بين نماذج الإغراق والغلو خلطوا بين المبالغة والإغراق فأورد ابن معصوم من شواهد الإغراق قول الشاعر يصف مليحة سمعت صوته:

لو خليت لمشت نحوي على قدم تكاد من رقة للمشي تنفطر
فهذا ممكن عقلاً وعادة إلا أنه مستبعد، وهذا هو حد المبالغة.
وبعكس ذلك عدواً بيتاً من الغلو في المبالغة وهو قول ابن حجاج:
وراحة لو صفت حاتماً علمت الجود قفا حاتم
فتخلص من هذا أن في اصطلاح البلاغيين ثلاثة فروع هي:

١ - المبالغة وهي الممكن المستبعد عقلاً وواقعاً.

٢ - الإغراق وهو غير الممكن عادة الممكن عقلاً.

٣ - الغلو وهو غير الممكن عادة وعقلاً.

قال أبو عبد الرحمن: أحب ها هنا أن أضبط المصطلح من واقع لغوي.

فأما الغلو فمدلوله لغة مجاوزة القدر.

وأما الإغراق فمدلوله اللغوي الانتهاء في شيء يبلغ أقصاه وأما معنى بلغ فالأصل فيه لغة للوصول إلى الشيء^(٤١) والمبالغة هي محاولة الوصول إلى الشيء قال اللغويون: بالغ في أمره مبالغة اجتهد ولم يقصر^(٤٢).

قال أبو عبد الرحمن: من هذا الواقع اللغوي أقترح أن يكون الغلو

(٤١) معجم مقاييس اللغة ٣٨٧/٤ وص ٤١٨ و ٣٠١/١.

(٤٢) تاريخ العروس ٥/٦٥.

مصطلحاً على ما يسميه البلاغيون غلواً وإغراقاً، لأنها مجاوزة للحد ويكون الغلو نوعين: غلو في العادة وغلو في التصور.

أما المبالغة في اصطلاحهم فمقيدة بشرطين:

(أ) أن يراد بها منتهى الوصف على سبيل الادعاء.

(ب) أن يكون هذا الادعاء ممكناً في العادة أو تصور العقل وبهذا الشرط ارتضى بعضهم أن يسميها تبليغاً وسماها ابن المعتز الإفراط في الصفة.

قال أبو عبد الرحمن: الاصطلاح بالمبالغة هنا صحيح لأن المدلول اللغوي يعني محاولة الوصول إلى الشيء، وأصح من هذا أن يصطلح على الغلو والإغراق والمبالغة بمصطلح واحد هو الغلو أو الإفراط ويكون الغلو على ثلاثة أنواع:

١ - غلو في ادعاء الممكن المستبعد (ما يسمونه مبالغة).

٢ - غلو في ادعاء غير الممكن عادة (ما يسمونه إغراقاً).

٣ - غلو في ادعاء غير الممكن عادة وعقلاً (ما يسمونه غلواً).

والغلو في ادعاء الممكن قد يعرف من حالة القائل لا من مقالته كقول حسان بن ثابت:

أما النهار فلا أفر ذكرها والليل توزعني بها أحلامي
فمن المعتاد تذكر المحبوب خلال النهار، ومن المعتاد خطور طيفها في الأحلام ولكن هذا لا يكون طول الليل وطول النهار.

ولو كان الشاعر من المصطلحين المشهورين لقليل هذا حقيقة.

ولقد كان جمهور الفقهاء وبعض من تنقصهم الحاسة الفنية ينكرون

الغلو بفروعه الثلاثة ويروونه أداة تشويه لا تشويق ويرددون قول حسان بن ثابت:

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا
وربما استدل بعضهم بالغلو السامع الوارد في الأدب العربي.
والواقع أن الغلو حسنة فنية بشرطه الجمالي حسب الومضات التي
مرت في صدر هذا البحث.
والمعاصرون من النقاد حلوا الصدق الذي نادى به زهير على الصدق
الفني.

ولا ريب أن الحقيقة الصادقة تحسن ويتشوق لها إذا عبر عنها
بأسلوب أحد فروع الغلو.

ولحاسن الغلو أصبح مقياساً نقدياً لدى فحول الشعراء فقد استدرك
النابعة على حسان اختفاء التحلية بمحسنات الغلو في قوله:

لنا الجففات الغريلمعن في الضحى وأسافنا يقطرن من نجدة دما
وأصبح من المسلم به لدى متقدمي الأدباء قولهم:
أعذب الشعر أكذبه.

هاتان دعويان حول الشرعية الفنية للغلو نترك الحكم فيهما لذائفة
القارئ من خلال النماذج الأدبية الكثيرة.

إلا أن حسناً المنادي بالصدق هو القائل:

لو يدب الحولي من ولد [م] الذر عليها لأندبتها الكلام
فكان بهذا رائداً لمبالغات النظام الآنفة الذكر.

* * *

وكل ما مر كاف للتوطئة عن الغلو وفروعه في الشعر العامي،
وها هنا أقرر أن الغلو المفضي إلى الكفر لا يوجد في الشعر العامي النجدي
بإطلاق، بل لا يوجد الكفر في كلامهم ولو في غير باب الغلو باستثناء بيتين
من ورطات الشاعر محمد بن هويدي الصقري قاهلها يعاتب ربه عندما
انتصر الإمام عبد العزيز بن سعود على ابن رشيد^(٤٣):

لولاك رب الناس قلنا يهودي فملك سرف تفضيل ناس على ناس
يا حيف يا عداد رمل النفود ترضى لدسمين الشوارب بالانعاس

قال أبو عبد الرحمن: هذا كفر صريح وليس في بيتنا من يعذر بجهل
وإن كان أشد الناس عامية، وأرجو الله أن يكون أحسن التوبة من هذا
الكفر قبل أن يلقي ربه فإن شيوخ تلك الأجيال من العوام ممن يؤسف
عليهم.

ونحمد الله أنه لا يوجد من الكفر غير هذين البيتين في جميع الشعر
العامي النجدي أما الشعر العربي الفصيح فملئء بالشطحات قديمه
وحديثه.

أما سوء الأدب مع الأنبياء وخيار الأمة فلا يكاد يوجد، بل إنني
أدركت أشياء من العوام لفرط تخرجهم يكعون عن رواية ما لوتأملته
لم تجد فيه ما يجرح العقيدة كغلو ابن سبيل في مدح محمد بن رشيد بهذا
البيت:

وهو خاتم الشيخان لا شيخ بعده اشارة سميّه نزلّه بالرسايل

(٤٣) من أهل الجمعة ومن شعراء آل رشيد وشعره لم يطبع منه شيء وكان معادياً للبيت
السعودي عداء أعمى فأوهى قرنه ولم يضر قلعة العز.
توفي سنة ١٣٢٦هـ.

وإنما يستقبح قول إبراهيم بن جعيثين في مدح عبدالعزيز بن رشيد:

معفي حمى نجد له الحمد والثنا إلى لبس شغل النصارى قموعها
قال أبو عبد الرحمن: هذا عرف شرعي لا يتوجه به إلا لله سبحانه
وتعالى. وما يستنكره العامة قول مطوع نفي في والده:

كل ما يرضن واشفيت في قضبهن قيل جدك تنومس بالفحم والمطارق
ول عود نحاني ول لاجيت جنة جعل يقطع شفاتك من عراه الوثائق
وأكثر ما في الشعر العامي من الغلو هو ادعاء الممكن عادة وعقلاء
وإنما كان غلواً لأنه خلاف الواقع.

كقول عبد الله بن ربيعة:

ان دك به هاجوس ما يسمع الطوب وان انتبه ما جابت الورق جابه
ومع أنه لا بعد للخيال هنا إلا أن الروعة الفنية في المقابلة بين
الحالتين، وزاد حسناً أن كل طرف من طرفي المقابلة ورد بصيغة الكناية.

ويزداد شغف النفس بالغلو إذا لاحظنا أنه ليس المراد مجرد التخيل
وإنما المراد تجسيد حالة شعورية كقول ابن جعيث:

تسمعوا وصفه وهذا وجوده ياطا بمخمص منهن الروح تنذاب
فالروح لا تذوب لهذا، وإنما لهذا المرأى إثارة شعورية بلا ريب.
ومن التعبيرات العادية في هذا الباب قول ابن سبيل:

وانا الجا من حدا والدينه واهدى من العبد المليك الاديب
ومن الادعاءات المقبولة المعبرة عن الذهول قول صالح السكيبي:

الى نظرتني طاح ما كان في يدي خضوع ولا تلام لو طاح ما بها

ويجملو الادعاء - حتى يكاد ينسى - إذا تحيل في إخفائه كقول سعود
بن محمد:

عساه لي تكفير ما شافت العين عساه امان من عماها رمدها
ولو قال بكيت حتى أصيبت عيني بالرمد لكان هذا ادعاء مباشراً
لا قيمة له.

ومن الادعاءات العادية قول محمد بن هادي:

حربنا ما يمرح من الليل مغلوج الناس قد ناموا وعينه مقزاة
وقوله:

من شافنا بالحلم يقعد من النوم وان شافنا بالعلم بطنه يهله
وإنما يجملو بالمقابلة.

ومن الادعاءات التي ليس وراءها قيمة فنية قول ابن جعيش في
محمد بن رشيد:

محمد ضفى حكمه من الطور واليمن والجوف والمشهد وبلدان قابس
فليس في هذا صدق تاريخي ولا صدق فني.

ومن الادعاءات غير الموفقة قول محمد بن هادي:

انا جنودي كثر جوج وما جوج حربنا لو هو بعيد نصيناه
فالتغني بالكثرة ليس من مفاخر العرب.
قال السموأل:

تعيّرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل

وقال شافي بن شبعان شيخ بني هاجر:

حنا شوي وحاميتنا القرامة قطاعة ننطح ولو كملوا يام
ثم إن التشبيه بجوج ومأجوج أتاح فرصة للشريف سلطان ليقول:
فان كان قومك كثر جوج ومأجوج كفرت بالطاغوت وآمنت بالله
وكل غلو فهو ادعاء لما لم يكن سواء أكان ممكناً أم مستحيلاً، ويدخل
في ذلك ادعاء ما كان الأمر بخلافه كقول ابن جعيش في عيسى بن خليفة:
«هو وايا الصخا خلقوا بساعة»

ومن الادعاءات العادية قول ابن جعيش في الشيخ عيسى:

فلا والله نلقى له بدايل وحيد العصر ما له فيه ثاني

ومن الادعاءات العادية قول ابن جعيش:

يوم صرت اليوم في عقل الرضيع ياكل الناقة وتشبعه الدبابة
وإنما يحلو بالمقابلة بين الشره والقناعة.

وقول أبو زويد الشمري:

اللي قرونه كسرن المشوط شقر عكاريش تخطف عقوبة
فهذا ممكن مستبعد.

ويلصق الادعاء بالقلب إذا شفع له مساعد في آخر كأن يرد على
سبيل الكناية كقول أبو زويد:

راعي الجحش شره على طرح خيال متحزم فوقه بدرعه وطاسة

ومن الادعاءات العادية قول متعب الحمود العبيد الرشيد:

راس على الصكات عدى على ايوب بالصبر والايقان والاحتساب
وقول سرور الأطرش:

انا اليوم ما تقوى عظامي تقلني كما السيف يومى به بغير قضاب
فهذا يحكم بادعائه من رؤية حال الشاعر لا من سماع مقالته إذا
تجرد المقال من دلالة سياق.

ومن الادعاء قول العوني في ابن سعدون:

ولوقاسى ما قاسى من الحرب والقسا ضلع الينوف يحط ركنه شظايف
ولو كثروا الشيخان ما همب مثله ولو جابت الخفرات ماله وصايف
وان عد بالدنيا شجاع واحد اشارت وشامت لعجمي الطوايف
وما اجتمع فيه الغلو والإغراق باصطلاح البلاغين قول مطوع
وشيفر:

خليلي لو يرعى الجراد رعيته اهظله من حشمته ورضاه
خليلي لو يزرع زريع سقيته من الدمع لو زل السحاب بماء
خليلي لو يبرز على الشري ريقه غدا سكر والتاجر يزيد شراه
خليلي لو ياطا على قبر ميت بامر الولي حاكاه حين وطاه

قال أبو عبد الرحمن: ليس في هذه الأوصاف المدعاة إثارة للشعور
وإنما هي مداعة للخيال، وربما تضاعف حسن بعضها بما فيها من كنايات.

والواقع أن الغلو داخل في معظم فروع البلاغة إلا أنه يتميز بادعاء
ذات الوصف فإن كان المدعى الشبه خرج عن ضروب الغلو، وإنما يتصور
الغلو في التشبيه المقلوب لأنه ادعاء للصفة. أما التشبيه غير المقلوب
فهو ادعاء لتقريب الصفة.

ولهذا ترى الادعاء إذا تحقق أصبح وصفاً لا تشبيهاً كقول بركات الشريف:

بيوم الجوزاء يستاقد الحصا وتلوذ باعضاد المطايا جخادبه
فإذا صح أن يوم بركات هكذا فالبيت وصف واقعي، وإذا صح أن
يومه ليس هكذا فهو غلو وهو ادعاء ممكن.

وقد يفترن بالبيت ما يفسد قصد الشاعر إلى الادعاء كقول
مشعان بن هذال يصف القصر الخراب:

لو يدهجه وبل الثريا ويسقيه ويمطر بياقوت ومسك سحابه
ما ينبت النوار لو سال واديه ملح وجغجاف هيار جنابه
لأن نزول الياقوت والمسك لا ينبت الأرض المتجاف فضلاً عن
السبخة.

وهذا البيت وما يشبهه من نماذج في العامي أو الفصيح يجب أن يتخذ
لفظ المبالغة مصطلحاً خاصاً له، فليس ها هنا غلو، لأن السبخة هذه
صفتها في الواقع، وإنما ها هنا مبالغة في تغيير السبخة عن طبيعتها بأبلغ
الأسباب.

ومثل هذا الذي يجب أن يسمى مبالغة تسمية حقيقية قول عليا من
الدلايلة:

ما أنساه لين الناس تنسى التعاليل والا ان راعي الغرس يترك ودايه
يترك ودايا حومة كنها الليل كب العذوق الصفر ما هو بمشهة

فليس في هذا غلو فكل ذلك ممكن غير مستبعد أما واقع قصر
مشعان فليس ممكناً فحسب بل متعين.

وإنما بالغت عليا في تذكرها لمحبوها بتحديد أنموذج للتذكر يدل على أنها لن تنساه أبداً.

ويدخل هذا المعنى الجديد للمبالغة في تقصي أوصاف المشبه به ولعلني إن شاء الله أتناول موضوع التشبيه في أحد أسفار هذا الكتاب.
وحسبي هنا أن أضرب المثال بنوع يسمونه التوجد كقول مرثا العطاولية:

يا تل قلبي تل حبل النواير	على ثلاث حيل فيهن زرقا
تجاذبته مبعديات المصادير	فيما يحدرنه الى مير يرقى
ولجتي لجة ثلاث على ضير	الحر فوق كبودهنه تعرقى
حيرانه ضاعن بين المقاهير	غدن بين اسلاق روق وبرقا

فها هنا ظاهرتان:

أولاهما: التشبيه وقد أسلفت أنه ليس من الغلو.

وأخراهما: حصر أوصاف المشبه به وليس في هذا غلو وإنما هو مبالغة — بالمدلول اللغوي — في حصر صور التشبيه التي تجسد الصورة في طرفي التشبيه.

وينطبق هذا المصطلح الجديد للمبالغة على الإلحاح على الصورة كما في شعر ابن الرومي وكما في قافية النجفي في قصيدة النجم وهو تشبيه شيء بعدة أشياء أو تشبيه كل جزئية من شيء بشيء.

فهذا بالمدلول اللغوي مبالغة في التشبيه.

من ذلك قول مطوع نفي:

ساونتي ونة ثلاث مفاريد	وثلاث محال وسبعة ذبابه
وثلاث خلج كل أبوهن مواليد	وحمامتين وثالثهن ربابة

على عشير صابني منه تنكيد
يكيدني مير الله اللي رمى به
ومثله قول جمعان البيد :

يا ونتي والليل قد فات ثلثيه
ونـة صوب به صواب يخله
طقه خصيمه بين مقرن ثناده
بمسويع نثر الدما عادة له
حاسوا عليه عداه والكل باغيه
عليه نفس من قديم مغلة
رموه تحت الخيل والدم غاشيه
وخلي طريح ما لقي من يشله
يا وجد حالي وجد من مات غاليه
أو وجد من جالي وفارق هل له
جرمه كبير ولا يفكه محاميه
متهم وقد بانت عليه الأدلة

وما هنا أنموذج آخر لمطوع نفي وهو قوله :

يا راعي الردة تمسح بليفة
حلفت للشينات ما أرد رأسي
لا عاد لا زينة وعين كسيفة
ولا غسلت عنها الغمض والغساس
والريحة اللي كنها ريح جيفة
وأبا اتلطم عن خبيث الخياس
ما حدني ربي على كل شيفة
أنا ولد ناس وهي بنت ناس

فبناء على صدق الشاعر أو كذبه نحكم بأن هذه الأبيات غلو
أو حقيقة .

إلا أن هذه الأوصاف مبالغة - بالمفهوم اللغوي - في إظهار القبح
لتقصي الأوصاف والتشبيهات القبيحة .

وهذه هي قصيدة النجفي التي ألمحت إليها من ديوانه الأمواج يصف
النجم :

كأن ساقط النجوم أرقم
قد ساب في بحر الظلام وانطلق
أو كقذيفة رماها مدفع
أو هو كالسهم من القوس مرق

أو لهب في فحمة الليل سرى
أو سطر نور خط في لوح الدجى
أو هو عفريت سما إلى السما
أو هو قرن الشمس ناطح الدجى
أو رمح نور طعن الظلام أو
أو كعمود الفجر لاح قارعاً
أو عمد يرفع خيمة الدجى
ثم قال يصف السها:

كأنما السها ملاك سابح
أو كسراج شف منه زيتيه
أو إبرة تغور ثم تعتلي
أو عاشق تشع منه نفسه
أو ضوء شمع تعبث الريح به
يطفؤ زماناً ثم يعروه الفرق
فينطفي آناً وآناً يأتلق
تخيظ من ثوب الظلام ما انفتق
وتختفي وهو بآخر الرمق
أو قدح زند هو أو برق خفق

ثم استمر يصف بمثل هذا المنهج الفرقدان والأفق والليل.

قال أبو عبد الرحمن: هناك قصيدة لشاعر أندلسي مغمور على هذا النسق أكدت في أحد أسفار كتابي الفنون الصغرى أن النجفي سطا عليها.

ومن المبالغات في تقصي أوصاف المشبه به قول سلمة بن الخرشب الأغماري:

فلو أنها تجري على الأرض أدركت
خدارية فتخاء ألق ريشها
ولكنها تهفو بتمثال طائر
سحابة يوم ذا أهاطيب ماطر

شبه الفرس في السرعة بعقاب أصابها المطر فهي تبادر إلى وكرها
وذلك ادعى لسرعتها.

ومن المبالغة باصطلاحي الأخير تأكيد نفي الشيء لتوقفه على وجود
مستحيل كقول القاضي :

والله ما أسمع هرجكم لو تلجون بالصوت يندب منكم الشيخ والشاب
إلا إن سمع فرعون ما قال هارون أو يسمع الميت نبا صوت نجاب

فليس ها هنا دعوى مستحيل وإنما هو دعوى حقيقة معلق لقاؤها
بوجود مستحيلات.

على أن كلمة (ما أسمع) هنا بمعنى لا أعتبر بكلامكم على سبيل
المجاز.

ومثله قول حضير على لسان والذي رحمهما الله :

ما أنساك لين طويق يرحل لزمان ولا البدو ينسون شد الظعين

ومن المبالغات باصطلاحي جميع قصيدة ابن جعثن التي يصور فيها
بخيلاً كقوله :

حتى الكحة ما يظهرها مثل الساري في مخافة
من خوفه يظهر دخانه يرقى يغطي كشافه
كن نجيره كلب مخضر يظويه الحايف ما يخافه
أوديك يذن في قفة يذكر والا ما احد شافه
إلى آخر القصيدة.

قال أبو عبد الرحمن : قد يكون في بعض هذه الأوصاف غلو ككتمانها
للکحة أو انتحال هذه الأوصاف على رجل لم تحصل منه .

إلا أننا نسمي جميع القصيدة مبالغة لأنه حاول تقصي الأوصاف
المجسدة لظاهرة البخل.

ومن المبالغات في التوجد قول محمد البحيري:

وجدي عليهم وجد راعي مواليف جهاها عقيد ردف الجيش ترديف
عطا لهن ما بين حزم وعنقور أو وجد راعي حوطتين مهاديف
يفجر عليهن طلعة الشمس بنهور وقال سويلم بن علي السهلي:

وجدي عليهم وجد من له مواحيل وعشاير شقح تلاد ومخاليل
ومعهن على شقران فلو قحوم سبر لخطلان على كنس حيل
شيب المتون عيونها ثقل لوم كل أبلج ضاري لكسب التنافيل
وضرم ييون المال ما فيه لوم وغارت عليه القوم خيل ورجاجيل
وطبح على فلو حشوم عزوم وأقفى يرادي له عن الخيل حلحيل
شذر حذر تالي شيوخ قروم واقفوا على ذوده عصاة مشاكيل
وكل على حقه شحوح بحوم وصله وخلي العج مثل المخايل
وعج الرمك والبل مثل الغيوم يبي يداري هرجة القول والقبل
حضر حياة ولا بنفسه وهوم طبح له اللي ضاري بالمحاويل
وثاره إلى أن أحذاه مثل النجوم واقفى مذل مع دكاك الغراميل
يفرك يديه ومر كبده يزوم عقب السعد والعز والبن والهيل
وكبش مربينه لكل محشوم اليوم يسهر كل ما جرهد الليل
ودايم على غيظه صموت كظوم هذا وجودي وجد من له مواحيل
من عقب ما هي ذود صارت قسوم أو وجد من صدر على أربع محاحيل
ولها اليا غاب الرقيب معلوم

خد حماد تسقي نواحيه كوم
يشيلن الما في وساع الكموم
نشت بيردها كبر روس البهوم
وصارت على روس النواحي رجوم
غشوى السبل بالسيل مثل الهدوم
وعن قول ما نالت يديه محروم
اليا عطى رحمة كما انه رحوم
ولا هي من اللي يجمعن العلوم

صدر على أربع مائة كلها كيل
اربع عقايبها اربع كنس حيل
يوم استتم الزرع شال النما شيل
هلت على وسط المفالي هماليل
واللي بقي من حبها شالها السيل
وأصبح يصيح ويزعج الويل بالويل
الله يكفيننا شرور المخايليل
ما قلتها باللي تغرف التهاويل
وقال أيضاً:

غرب ثقیل يوم تنهض رحاله
وتقفى تموح ويلطم الغرب جاله
بس الرشا والغرب عود لحاله
وقد السريح وجذته بانتلاله
ولا هقيت القلب يقبل بداله
وغم طواه الياس واعزتا له
باللال تيه ما رده حظو باله
وعزاه ما حوله صديق صخا له
يا ويل من فارق عياله وماله
يمناه بالصفقة تعلت شماله

واجذ قلبي جذ دلو مدلاة
على زعاج يوم تارد وتملاه
توهفنه شنظور حيد بمطواه
وأرقى رشا وغربها عود الماه
على وليف ما هقيت اسقم بلاه
ولا هقيت القلب يطرب بلا ماه
وجدي عليهم وجد من يست شفاه
تاه الطريح وحررة الجو ما جاه
تالي كلامه قولته واحلالاه
ولا كمل الشهاد والأمر لله

ومن التوجد قول مشعان بن هذال:

خم الرشا وحال ازرق الجم دونه
عجزوا هل العادات لا يظهرونه

وجدي وجود اللي تهايق على البير
أو وجد من صكوا عليه المشاهير

أو وجد من له هجمتين خاوير حال الرمك ومسطر الغوش دونه
على الذي ما قط ذير ولا ذير وحش الحمى دونه عيال يحمونه.
وتمني المستحيلات ليس من الغلو، لأنه تمني مستحيل وليس ادعاء
مستحيل.

ولكنه يكون مبالغة إذا كان فيه محاولة التقصي كميالفة السعدي
البوردي في تمني بعض مظاهر النعمة بهذه الأمنيات:
ليت التببن كله شاهي ورمل البترا شكر فلة(٤٤)
وعديد مليون حليب وطويق محقان كله

وقد أجازها إبراهيم البوردي (محين بقوله:
وفي الصفة هشيم البترا والروشن مليون بريّة
والروشن مملي بريّة وصوبة هيل كبير الثلة
ومثله الجمل الذي تنماه تركي بن حميد بقصيدة أوردتها في السفر
الأول.

ومن الغلو المستعذب قول فheid المجامح:
حبه يخج القلب ما يوجع أوجاع لا شك قلبي مودعه بيت نملة
وقول ابن أحمد راعي القرينة:

شفت برقّ ينوض وقلت ذا الوسم بكر
واثر ذاك الحبيب يوم يوضي جبينه
خطر السطح من ممشى عشيري يتكسر

يا الله انك تعينه من ردوف تهينه
ويرأ التشبيه من المبالغة إذا كان لوصف حال دون ادعاء حال كقول
سليمان الطويل البوردي:

(٤٤) البترا: نفود بين السر والوشم.

والراس عذق مايل به رطية عسوه ليان والهوب حدرت به
وعدوا من الغلو قول شريف الرضي :

يا ليلة كاد من تقاصرها يعثر فيه العشاء بالسحر
ووجه الغلو عندهم أن العشاء لا يعثر بالسحر.

قال أبو عبد الرحمن : الشريف يصف شعوره بالأنس بأنه قصير،
ولا يقصر إلا بقلّة اللحظة الزمنية ولقصر هذه اللحظة أصبح كأنه لا فارق
في الزمن بين العشاء والسحر وقد يكون صادقاً في هذا الشعور فلم يخرج
عن حد المبالغة في وصف القصر وليس هناك غلو أصلاً.

وإنما يوصف بالغلو في اصطلاحهم قول المهلهل :

ولولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور
فهذا ممتنع عقلاً وعادة - في عصر الشاعر - لأن بين حجر وبين
موضع الوقعة عشرة أيام.

وقول أبي العلاء المعري يذكر أن ممدوحه يرعب السيوف :

يذيب الرعب منه كل غضب فلولا الغمد يمسه لسالا
فمستحيل عقلاً وعادة أن يخاف السيف فضلاً عن أن يسيل بيد أن
هذا الغلو مليح ، لأنه أراد أن عدوه لا يجروء أحد على شهر السيف في
وجهه فعبّر عن هذا المعنى المباشر بهذا الإيجاء الأخاذ.

وعدوا من قبيح الغلو قول البلاذري المؤرخ في المتوكل :

ولو أن برد المصطفى إذ لبسته يظن لظن البرد أنك صاحبه
وقال وقد أعطيته ولبسته نعم هذه أعطافه ومناكبه

- ٣ -

من أخبار الشرارات

هذه قبيلة عربية نجبية عريقة تضافرت المرجحات على نسبتهم إلى كلب كما عزز ذلك شيخنا حمد الجاسر، وجاء الأستاذ عاتق بن غيث البلادي فدفع احتمالات الجاسر باحتمالات أخرى.

وفي ميدان المحاصة بينهما أرى أن احتمالات الشيخ حمد أظهر، لأن احتمالاته متعينة في مقصده، واحتمالات البلادي احتمالات مرسلة.

والاحتمال الراجح أحظى من الاحتمال المرسل في ميدان الحجة والبرهان.

وللأستاذ سليمان الدخيل رحمه الله رأي سخيّف إذ قال:

(إن الشرارات سموا كذلك لحستهم أولقطة الاعتداد بهم فأصبحوا بالنسبة إلى العرب كنسبة ما يتطايّر من النار عند اشتعالها إلى النار نفسها، وهذا كاف لتستدل على منزلتهم عند أهل البادية. ا. هـ).

قال أبو عبد الرحمن: هذا التعليل اللغوي من كيس الدخيل، وليس هو معروفاً في استعمال العامة.

ولا ريب أن عامة البادية غمزت في نسب الشرارات لأنها لم تتحققه، ولأن الشرارات أنفسهم لم تتحدد دعواهم على نسب موحد يردهم إلى إحدى القبائل القديمة، وبهذا السبب ضاعت أنساب كثيرة للحاضرة والبادية.

وأما وصف البادية للشرارات بالخسة فهذا محض افتراء من الدخيل، لأن الشرارات عربية الخلق والعادة وعلى سبيل المثال فزعيمها الفارس خلف بن دعيجا يعده زعماء البادية أنفسهم من أندادهم.

وقالت الليدي آن بلنت: (وليس للشرارات خيول ولكنهم يربون أرفع أنواع الهجن في بلاد العرب وأحسن فصيلة تسمى بنات عدهان. ١. هـ).

قال أبو عبد الرحمن: أما الخيل فهم أصحاب خيول أصيلة وقد ذكر الدخيل مربوطاً من مرابطهم.

وأما نجابة هجنهم فهي مضرب المثل عند شعراء العامة.

قال الشاعر:

بنات حر فحلوه الشرارات بالجيش تعني له جميع البوادي
وقال آخر:

ياما وطيناك من مرة من فوق حمرا شرارية^(١)

(١) انظر عن الشرارات المصادر التالية:

في شمال غرب الجزيرة ٣٨٨/١ - ٣٩٠.

ومعجم قبائل المملكة ٣٨٨/١ - ٣٩٠.

ومجلة العرب ٩٥٩/٣ - ٩٦٠ و ٢٨١/٤ - ٢٨٣ و ٧٩٤/٩ - ٧٩٦.

ومجلة لغة العرب ٢٠٩/١ - ٢١١ و ٢٩٥ - ٣٠٠.

ورحلة إلى بلاد نجد ٤٦ - ٤٧.

والحويطات لعدنان عكار ص ١٥٧ - ١٥٩.

وقاموس العادات للعزيمي ٩٥/٢ - ٩٦ وص ٢٥٠ وفيه نكت ممتعة.

ورحلات في بلاد العرب - في شمال الحجاز والأردن للبلادي ص ١٠١ - ١٠٤

وص ١٠٦ - ١٠٨.

ومعجم قبائل الحجاز ٢٢٩/٢ - ٢٣١.

وبلاد الجوف لسعد الجنيدل ص ١٧٦ - ١٩٢.

=

ومن أشعارهم قول ابن ماضي الشراري في معركة أبو عامود منذ ثمانين عاماً حيث انتصر عليهم الحويطات^(٢):

لاعادت اليوم عزوتنا على ديار الحويطات
امس الضحا الخيل لحقتنا كنه عرازيل حولات^(٣)
من كل الاشناق ضبتنا يذرا على الراس ماذاتي^(٤)
الذيب لاجا معاركنا يلقي الولايش كثيرات^(٥)
والعقيد لا يسمى وليشة، إنما الوليثة – وهو ما يدل عليه السياق –
بمعنى الذبيحة، وقد شبه القتلى بالذبائح^(٦).

= وكثر الأنساب للحقيل ص ٢٠٧ – ٢٠٩ .

والمنتخب لابن مغيرة ص ٢٧٣ .

والقبائل العربية وسلالتها في بلادنا فلسطين ص ٤٩ وقد اعتمد على كتاب تاريخ شرق الأردن وقبائله .

ومعجم قبائل العرب لكحالة ٥٨٧/٢ .

وعشائر العراق للعزاوي ٣٢٠/١ .

ومن كتب عنهم البتوني في الرحلة الحجازية وعليه اعتمد الهاشمي في الدر الذهبية ص ٤٢ .

والبركاتي في الرحلة اليمانية، ونعوم شقير في تاريخ سينا، ووصفي زكريا في عشائر الشام .

(٢) انظر الحويطات ص ٧٥ – ٧٦ .

(٣) في كتاب الحويطات: (تقول عرازيل)، فعدلتها حسب مقتضى اللحن المهجيني، وقد فسر العرازيل بالعناقيد .

(٤) في الحويطات يزرا – بالزاء – ولا معنى لها بل هي بالذال وفسر الماذاتي بالرصاص .

(٥) في الحويطات: (اذاجا) فعدلته لأجل خفة اللحن .

وفسر الولايش بالعقيد، وقال إن العقيد بالعرف العشائري هو حامل الراية؟!

قال أبو عبد الرحمن: العقيد لا يحمل الراية، والغزوات التي يتزعمها العقيد لا يكون فيها راية هي حيافة ومباغطة .

(٦) انظر قاموس العادات ٢٢٩/٣ .

ومن أشعارهم قول ظاهرة الشرارية:

يا علي واقلبي من الموت خايف	ماله عني يا علي لو صحت واوميت
اثر العجايز ما عليهم حسايف	يا علي انا لاول شبابي تطويت
وين الثمان اللي من اول رهايف	ووين القرون اللي عن الوجه كفيت
لا بد ما تنهج علوم طرايف	الا ولاكني على الدار مريت ^(٧)

ومما وجدته في أوراقي ولا أدري عمن رويته هذه الأبيات لخلف
يخاطب ابنه:

يا بن خلف قم بدل الدار بديار	الحر عن دار المذلة يعاف
يا مقبل اقحص بالعجل واوقد النار	وعلق معاليق المشاة المقافي
لو زان واحد بان من ذاك الانكار	ولا هو وكاد يصبح البال صافي
وجهك مع اول غلمتك ينور انوار	وتسند العايل بحد الرهاف

ورغب عيادة بن رخيص الشمري الزواج من بنت عمه إلا أنه
تحجرها من هو أقرب منه فاستفزع بخلف بن دعيجا فأدركها له بعد أن
بذل ماله وجاهه.

وبهذه المناسبة قال عيادة استفزع بخلف:

يا راكب حمرا تسوج الحبال	كم ذيرت من راتع عند حيران
تلفى خلف قل له خلف من غدا لي	فكاك ربعة يوم روغات الاذهان

(٧) من آدابنا الشعبية ٢ / وعن ظاهرة انظر شاعرات من البادية ١٦١/١ - ١٦٢

وبلاد الجوف ص ١٢١ و ١٢٦ و ١٣٦ و ١٩٠ - ١٩٢ وما نشرته بجريدة الجزيرة عدد

١٢٣٣ في ١٠/٦/١٣٩٥هـ.

وديان النبط ١٣٢/٢.

لعل ما يجري لك اللي جرى لي هم عن المطعوم والنوم قزان
تقطعت كل العرا والمدالي افزع لنا يا شوق مياح الاردان
وقد أجابه خلف بقوله :

عياد فان اللي جرى لك جرى لي شربت شفق ورحت يا عياد ظميان
لو به سباحة دوبي اسبح لحالي لا شك انا باللي حوالي بلشان
اصبر وامضي ايامها والليالي كم قاله كبرت واخير امرها هان
مير اصطبر لا يختلف بك مجال لما تجيك الدائرة مثل ذلوان
باولاد مكلب فوق حيل جلال ولالي بهم غير اريش العين غرضان^(٨)

وقال خلف عندما عرفه فرسان الرولة :

انا بلون الناس وانا تبلويت وصارت عليه من كبار البلاوي
ذا لي ثلاث مية وخمسين مضيت وانا بسببها عند اهلها فداوي^(٩)

ومثل هذه القصة أن محيسنا السرحاني بلي بالعشق فأهاب بخلف
يسعى له فذهب خلف متفدوياً^(١٠) عند أهل البنت لمدة سنة إلا أنهم
عرفوه وكشفوا عن هويته فلما عرفوا قصده من هذا التفدوي قبلوا وساطته
وأوجبوا لمحيسن إلا أن محيسناً خلال هذه المدة أيس فمات فكان من
صرعى الغرام كالملطوع والد جيما وابن حماد وابن حبيش والشمري .

وعشيقه محيسن من بنات الرولة، وقد أراد خلف التنصل لأن الفتاة
ليست من قبيلته، وعرض على محسن مقابل هذا التنصل أن يهبه خلف إبله

(٨) قصة خلف مع عياد في كتاب من آدابنا الشعبية ١/٢٦٤ - ٢٦٥ ومن أحاديث السمر ٦٧/١ - ٧٠ .

(٩) قصة خلف مع محيسن في كتاب من آدابنا الشعبية ١/٢٦٥ - ٢٦٧ وسمعتها من إبراهيم اليوسف .

(١٠) التفدوي : خدمة الأكابر أو ملازمة بساطهم للمنادمة .

وبيته وولده وبندقه، ولكن محسناً أبى وأصر أن يرهن نفسه في بيت خلف وما على خلف إلا السعي في حاجة محسن.

وفي آخر مدة بقاء خلف متفدوياً عند الرولة حضر معهم وقعة فأبل بلاء حسناً، وبهذا السبب عرفه فرسان الرولة.

وقد قال حسن عند إهابته بخلف:

يا راكب حمرا من النني تبني	ومردوم غير الدفوف السنام
ترعى زهر نوار برق جذبي	مرباعها ما بين شرق وشام
وعيونها حمر الغضا يلهبني	والاسراج مروطين الكلام
تلقي لبيت كنها الحيد مبني	راعيه قطاع الفرج والمظامي
لا ياخلف يكفيك هم ركبي	حيثك على الشدات رجل تحامي
غش العراق الله يجيرك ضربني	وقام يتساق مع مفاصل عظامي
على حبيب بالمودة سلبني	سلبة عباة في يدين الحرامي

ولما أنهى مهمته ووجد صاحبه وقد ودع الدنيا قال على منوال قصيدة

محسن:

قيفان من اصدر الفهيم انهذبني	لولو ومرجان ملاوي كلامي
يا راكب اللي للبلد ما جلبني	قطم الفخوذ معربات الأسامي
ما لا فاتن عند اول الذود لابن	بملافت للحشو يوم الفطام
من نسل هرش بالهدد له يجبن	يطلق عليهن يوم ان كل ينام
ما قيظن يرعن رمام وتبن	ولا صفرن قاع الجوا والوخام
مرباعهن فيحان ثم اقتلبي	يرعن زهر نوار عشب الوسامي
يلفن على اللي من ربوعي ندبي	يا جايين العلم دتمم ودام
إن كان ذودي للحبيب يجبن	دونك نياقي قد لهن بالتمام

دونك قعود البيت والبيت وابني وبي قولة العقلا علينا حرام
مع بندق لفظات فمها يصبني ولها على الضد المناحر مرام
البيض قبلك يا محسن سلبي سلب الهوا لرهيفات الخيام
والبيض جعل البيض ما يرتجن هويهن ترمى عليه التهامي
يصلني بالبيسر من لا جذبي صل الرشا من فوق هدف المقام
محسن على حوض المنايا عقبي حثرب علي الجم قليل الرحام

وسمعت من رواية رضا الشمري أن عبداً عشق فتاة عربية فقال
العبد يستنجد بخلف، لأن خلفاً صاحب وساطة محمودة بين العرب ونخوة
فذة.

قال العبد:

لا يا خلف يوم ان كل عنى لك أنا علامي يا خلف ما اتنصاك
لا أريد من مالك ولا أبي حلالك الله بلاني يا خلف مثل بلواك
يا ريف هجن نوخوهن قبالك اللي تحنيهن من الدم يملكك (١١)
ويا ابن دعيجا غن هب الهوى لك حنا على علمك من البعد جيناك

فلما علم خلف أن عشيقه العبد من أصلاء العرب قال مجاباً له:

يا العبد لا تغويك هومات بالك اقصر هوى رجلك على قد ممشاك
هذاك يوم الليث ما هو بحالك يسني بقلبك سنية الدلو برشاك

(١١) للضيف ثلاث درجات عند البادية: فمنهم من يذبح له، ومنهم من يكرم بطعام
(عيش) دون لحم، ومنهم من يوضع له اللبن والتمر فقط.
وعادة أهل الحي أن يسألوا المضيف عن درجة ضيفه، وعادة المضيف أيضاً إذا
ذبح للضيف أن يطلع رقاب إبلهم بدم الذبيحة فيعلم الحي أن الضيف ممن يستحق
الذبيحة.

فهذا معنى قول الشاعر: اللي تحنيهن من الدم يملكك.

ولولا ردا عقلك ولولا هبالك ما خلت برق يمه العشب لحذاك
عليك باللي بالمحبة صخا لك وان شاف غيظك بدل الغيظ برضاك
وبرق بعقبك لا يخيله خيالك لو هو يشادي الشمس ولا القمر ذاك

ووجدت في كراسات الشيخ منديل هذه الأبيات لشاعر من أقارب
خلف بن دعيجا يخاطب بها أحد أقرباء خلف ويمدح خلفا فيقول:

ما نقبل العيلات حصن مناكير ولو قبلنا ما توافق نسانا
للشر شر ونطح الخير في خير ومن به عيا نفس يوافق عيانا
خلف عديم الجنس يعرف ديمثير اللي بعيد شوفته ما وطانا
نأخذ ونعطي وافي الشور ونشير ونمثله بالرأي فيما عطانا
هذاك حامي طرشنا والمظاهير قابد جهامتنا وحامي حمانا
وان ركبت قشر السنين المعاسير من البل لو غليت رخيص عثانا

ووجدت من المطبوع من شعر خلف هذين البيتين:

يا بنت حماي النضا ساعة الضيق شيخ تخضع له سباع الرجال
أنتم خزايزكم طوال السماحيق وخزايزي شمت اللحي والعيال^(١٢)

ووجدت في كراسات الشيخ منديل الفهيد أن من الشرارات شاعراً
اسمه مطيران وهو مجاور لابن جميعان شيخ السبوت من بني عطية الذين
يسكنون بتبوك وضواحيها.

وقد شهد وقعتين متواليتين يدافع فيهما بنو عطية عن أنفسهم
ويهزمون المغيرين مع أن المغيرين في المرة الثانية استنجدوا بإحدى القبائل.

(١٢) مجلة التراث الشعبي س ١٣ عدد ١ ص ٧٥.

وقد قال مطيران هذه الأبيات معبراً عن إعجابه ببني عطية :

يا مزنة هلت بالأمسح بذاره	يومي لمن يرعاه في جل وابكار
البرق يوضي ليلها مع نهاره	بمصافق العدوان مرباعها حار
فيها أبو مطلق هو وربعه نمارة	ربع على الحارب يحثون الأكوار
فرحان يستاهل تشيع اخباره	ربعه كما العقبان يردون الأخطار
ومنزالهم راس النبا عن غتاره	وقطعانهم ترعى زماليق نوار
الضد جاهم جالب له تجارة	مع من فزع راحت غنايم ومسفار
يوم ان دومان وقع بالغتارة	وعيون ربه بالبواريذ طيار
اللي جدع للشيخ يبطي نهاره	شوق الهنوف إلى هبا كل فشار

وسبب هذه الأبيات كما قال ابن جنيد أنه وجد منزلاً يساعد
عشيقته على الامتياع فكتم الخبر فأثنى عليه منزل .
وقد نسبت الأبيات لبصري الوضيحي خطأ .

أما مندبل فيرى أن الأبيات لشاعر شراري يشكك في منزل وعشيقته
ويقول الأبيات على لسانه فحاكموه عند راعي البشعة (الملحس) وحينئذ
قال منزل :

عز الله اني باشع والحس النار	وعز الله ان النار تحرق لساني
وعز الله اني ناقل عم بيطار	وعز الله اني ذابح من بغاني
وعز الله اني باغي ظبي الأقفار	عشق على وضح النقا والبيان
وعز الله أن اللي تقولون ما صار	وعز الله أنه مطلبني ما عطاني

وقال منزل بن عرمان الشراري من المفالحة :

عسى الحيا يسقي موارد ميقوع يسقي القلب وماقفه مع مرده

حيثه يجمع لي مخاليق ونجوع
وأنا عطائي مغزل العين قرطوع
امسيت ما بي لا ظمأ ولا جوع
جيت الغضي ثوبه عن الساق مرفوع
وفهقت ثوبي عن ذراعي إلى الكوع
والله يا لولا الحبل مثني ومربوع
والا لخلي النزل جاضع ومجضوع
والسد ما يبدي على غير مجدوع

وكل يقلط له محاله وعده^(١٣)
يا علي، وما ازين طعام المودة^(١٤)
وأصبحت حالي بالشحم مستردة^(١٤)
متولف لرشاه، وده بشده^(١٥)
ومديت بس بيوم تسعين مدة^(١٦)
ما اطاع اللقاي لو قال رده^(١٧)
ولأخلي كل بد يطلع لبده
اللي إلى شاف الخنا ما يعده^(١٨)



(١٣) عند منديل:

الطارفة مع مرده

عند منديل:

حيشه مرب للفراقين ونجوع
(١٤) عند منديل:
تسعين يوم ما هوى كبدي الجوع
(١٥) عند منديل:
سقيت من ثوبه على الساق مرفوع
(١٦) عند منديل:

ونفضت ثوبي

(١٧) عند منديل:

ما انكس على اللقاي

(١٨) عند منديل:

السد يبغي واحد مثل جدوع
قال أبو عبد الرحمن:

سمعت القصة كاملة من الشيخ منديل رواية عن عاشق اللحاي شيخ
الشرارات ونشر بعضها ابن جنيدل في بلاد الجوف ص ١٨٦ ونسبت القصيدة خطأ
لبصري الوضيحي.

- ٤ -

من شعر ابن غازي

عرفني أبو عفاس مطلق الشمري بابن غازي فقال:

إنه طلال بن فريج بن دغيم اشتهر بابن غازي من الدغيرات من
العليان من جماعة ابن سعيد من شمر.

ولم أر له شعراً مطبوعاً غير ما أوردته ها هنا سوى هذا البيت:

اخترت عنهم ربعة دلهوني والبعد عن لا يودك جلاهم^(١)

ووجدت في السفر الثاني من كتاب الشيخ منديل هذه القصيدة
للشاعرة رفعة أخت طلال بن فريج بن غازي الشمرية من الدغيرات هزبها
زوجها بإحدى بنات شمر بطول قرونها فقالت:

هزبتني باللي قرونه طوال بنت عفيفة ما بها ما نعد^(٢)
لا صار خاله ما يلادي لخالي ولا جدها يذكر لدي لجدي^(٣)
ابوي شيخ مدلهينه خوالي ولا ابحلوا بالراي يمه يرد^(٤)



(١) الشوارد ١٦٩/٣.

(٢) هزبتني: غيرتني بمن تراه أفضل مني.

(٣) يلادي: يشابه.

(٤) ابحلوا: حاروا وضاعت حيلتهم.

قصيدته على قافيتي الفاء والنون من لحن المسحوب

قال أبو عبد الرحمن هذه القصيدة ناولنيها الشيخ سعد بن جنيدل
بخط يده وسمعتها من الشيخ منديل في برناجه الإذاعي ولم أكتبها عنه،
وقال: إن بعض الرواة ينسبها إلى ابن سبيل والصواب أنها لابن غازي.
قال ابن غازي:

يا راكب اللي يوم يقبل يهيف هماع قطاع الخرايم عماني^(٢)
فرة ظليم شاف رام ذريف حقق عليه ووكداه بالبيان^(٣)
دلى يرفع بالجنح الخفيف والريش هزه بالثنادي السمان^(٤)

(١) الشوارد ١٦٩/٣.

(٢) يهيف: يسرع وأصل الاستعمال:

(أ) إما من الهيف وهو ضمور البطن ورقة الخاصرة فلعل هذا الوصف من
ملاحم النجاة والسرعة. وهذا احتمال بعيد.

(ب) وإما من هافت الإبل إذا استقبلت هبوب الهيف فاتحة أفواهها من شدة
العطش فهذا من دوافع السرعة وهذا أقرب.

(ج) وإما أن المعنى فصيح بدون تحوز لأن ابن عباد نقل أن المهيفات من الإبل
هي المعناق.

هماع: متدفق السير على التشبيه بالسحاب إذا همع.

(٣) ذريف: يتتابع رميه كتتابع ذريف الدمع. حقق عليه: تأكد منه.
يصف جملة بظليم هذه حاله من ناحية السرعة.

(٤) دلى: صار. لعل وجه المجاز أنهم لاحظوا معنى الصيرورة في أحد معاني التديلي أو الدلو
فعبروا بهذه المادة عن الصيرورة.

عديت مرقاب طويل منيف	واليا اللي يتعني براسه عداني ^(٥)
ولاي اخيل ظعون خلي تهيف	بايسر قطن بين الموشم وابان ^(٦)
اخيلهم بالشوف شوف نظيف	لا ما تواليهم غدا ذيهبان ^(٧)
وحولت من راس الطويلة معيف	ماني لوضاح الثمان رجواني ^(٨)
غصن عليه من الجوابي ذريف	بنوب لاركبه ولا به مقاني
وزول على مضمون عيني نضيف	ومعازل ما هي على مود ماني
انت الذي سميتني وانت ريفي	وانت الذي سميتني مع زماني
ما نيب سلطان ولا انتب شريف	ياشين قطعت العنا والعواني



7

(٥) عداني: منبسط سهل. لها مجاز من مادة عدن بمعنى الإقامة.

(٦) ولاي: وإلاي: أي وإذا أنا.

(٧) في رواية مندبل: أحقهم بالشوف وهو أبلغ بشرط أن تبقى كلمة أخيل في البيت الذي قبل هذا.

لا ما: إلى أن.. ذيهبان: صيغة مبالغة من الذهاب بمعنى السرعة.

(٨) معيف: كاره وهي هنا بمعنى اليأس.

رجواني: صيغة مبالغة لتسمية من يرجو شيئاً بالخاص.

قصيدته على قافيتي الميم والجميم بوصل الهاء من لحن المسحوب

نشر منها ابن خيس أربعة أبيات^(١) وحدثني أبو عفاس مطلق
الشمري بها، ورأيت بعضها في كراسات الشيخ منديل بن فهيد.

قال ابن غازي الشمري :

يا الله يا محيي العظام الرمايم	يا خير كل العرب باختراجه ^(٢)
انك تدرى لي هبوب النسائم	تهيي هوى نفس براسه لجاجة ^(٣)
الله من كبد بها المر زائم	كبد تصفق ودها في خراجه ^(٤)
شفي على العيرات والحظ قايم	وتفضات بالي مع خطاة الزراجة ^(٥)
ولا جلعدت مع سهلة كالحمايم	جينا مكان البيل وهذا مداجه ^(٦)

(١) الشوارد ٤٩/٣ . ونقلها كاملة بكتابه من أحاديث السمر عن كراسة الشيخ منديل .

(٢) يا خير: تشديد الياء وهو الله سبحانه وقد غاب عن العامة أن الله لا يسمى إلا بما سمي به نفسه .

باختراجه: ما يخرجهم لهم من الرزق .

(٣) لجاجة: نخوة . البيت كناية عن تمني فرصة الغزو . وعند منديل :

يا الله يا منشي هبوب النسائم تجلي صدا كبد براسه لجاجة

(٤) خراجه: مخرج . وعند منديل : قامت تصفق ودها بانزعاجه .

(٥) شفي: بغيتي وأمنيقي . . العيرات: الإبل .

تفضاة: إفراغ لأن الإفضاء يعني ذلك .

خطاة: شبه . عند منديل : الله على العيرات . . وتفضات بال .

(٦) جلعدت: تدفقت في السير ، والعامة تقول جلعد فلان بفلان إذا جره مسرعاً به .

وعند منديل :

ليا روحن مثل اختباط النعائم متحريات الكسب وسط المداجة

غرنا وخذنا مال ناس صمايم مثني بنقرة بانهباجة^(٧)
وصاح الصياح وغبطوا بالهزاميم والخيل لحقتنا تنابط عجاجة
نحاولوا بقشوش حذب الضمايم والخيل عن رمي البواريد ماجه^(٨)
واللي وقع حامت عليه الحواميم على مطيحه سحم الاظهار داجه
وضربي انا لعيون زرق الوشاييم غدي شفيق الروح يعطيني باجه^(٩)
ولا نيب هلباح يجي للولاييم والا مديح الروح عندي سماجة^(١٠)
يا شيب عيني واهني البهايم ما ميزن درب القدا من عواجه

(٧) مثني: أي المال ويريد به الإبل: أي أنها معقولة أو باركة.. نقرة: المنخفض بين عروق الرمل. وعند منديل: جنباً عليهن.. هماييم.. مربع في نقرة.
انهباجة: مكان متسع. ورواية أبي عفاس: منه باجة. فأصلحتها اجتهداً.
قال خلف الإذن:

هذا الفخر ما هي بعارين يهباج اللي عزل عيلاتكم عن خدرها
(٨) نحاولوا: لجأوا بحيلة.

قشوش حذب الضمايم: ما تحمل الإبل من مزاد وخروج وشبهها.
ماجه: ماجت. هذه لغة الشمال.
وكذلك داجه — بالهاء: أي داجت.
عند منديل:

نطابقوا بقشوش حذب صمايم والخيل من صلو البواريد ماجه
(٩) غدي: لعل. وعند أبي عفاس: (غديه) إلا أن الوزن يختل وعند أبي عفاس (يعطين)
بدون ياء المتكلم وهذه هي لهجة الشمال إلا أن ضرورة الوزن صرفت الشاعر عن
لهجته وهذه قاعدة في الشعر.

باجة: يتوج لي بابتسامة على التشبيه بتوج البرق. وعند منديل:
ضربتها لعيون زرق الوشاييم اللي صخيف الروح يضحك حجاجه
(١٠) هلباج: كسول اتكالي. قال أبو جراح السبيعي:

يا ونتي ما ونها كل هلباج اونها ومسوكف الباب دوني
والشطر الثاني أصلحته اجتهداً لإقامة وزنه، وهو عند أبي عفاس هكذا:
(والا مديح الروح تراه سماجة) وعند ابن خيس (وترى مديح النفس عيب
وسماجة) وهو مستقيم بهذه الرواية.

هني دب دب الايام نايم ما له حذا ما حط في البطن حاجة
شبننا وحنا مثل سود اللثايم ماضاع من حاجات الابس حاجة^(١)

وذكر منديل عن قصة هذه القصيدة أن ابن سعيد أمير الدغيرات
حصل له خلاف مع ابن غازي ولما أراد ابن غازي أخذ حقه منه محمد بن
رشيد لأن إحدى بنات آل سعيد أرضعت أحد أبناء عبدالله بن رشيد.

ولما سمع ابن رشيد قول ابن غازي :

شبننا وحنا مثل سود اللثايم ما ظال من حاجاتنا ربع حاجة
قال له : ما الذي ضاع لك ؟

فتظلم ابن غازي من ابن سعيد فقال ابن رشيد بحضور حمود العبيد
الرشيد : لك من الآن حتى الصبح اعمل بابن سعيد ما تشاء ، وكان ابن
رشيد يظن أنه لن يتمكن من عمل أي شيء خلال هذا الوقت القصير كما
أنه أنذر ابن سعيد ليحتاط خلال هذه المدة وكان ابن سعيد يبعد عن حائل
ستين كيلومتراً.

فذهب ابن غازي إلى ابن سعيد سارياً في الليل راجلاً ووجده
متحسباً له فرصده فلما طلع الفجر أمن ابن سعيد وقام لقضاء الحاجة
فلحقه ابن غازي من مكمنه وطعنه ثم عاد إلى حائل قبل الصبح ،
ولم يرض ابن رشيد بذلك ولكنه لا يستطيع أن ينكر رخصته لا سيما أن
حمود العبيد كان حاضراً فطرد ابن غازي من حائل فذهب إلى الجزيرة
بالعراق عند آل الجرباء .



(١١) عند منديل : طول الايام .

عند منديل وابن خيس : ما ضال من حاجاتنا ربع حاجة

- ٥ -

نصوص عن البيئة

قال الأستاذ كاظم الدجيلي :

الفنجال كأس صغيرة تشرب بها القهوة . والكلمة فارسية الأصل من ينكان أو ينكال (كلاهما بكاف فارسية) وهي قديمة الاستعمال في اللسان بخلاف من ظن أنها حديثة التعريب ، لأن الأقدمين من اللغويين ذكروها بلغة فنجال كما يعرفها إلى الآن الأعراب بهذه اللغة من شمر وعنزة وعقيل في بغداد ومنه مشعان الهذال ويروى لعبدالمحسن الهذال .

فقد روى لي هريبد البركة الزميل من شمر (وهو راوية الأعراب في أخبارها وأشعارها وحروبها كأبي عبيدة والأصمعي في أيامها ولم يزل إلى الآن حياً يرزق وقد ناهز الثمانين سنة) : قال اجتمع قبل نحو ١٠٠ سنة في أيام الربيع مشعان بن هذال شيخ الدهامشة (وروي عبدالمحسن الهذال) وهما من العمارات من عنزة وشويش العجرش (كعملس) من شيوخ الثابت ويروى أخوه صايل (ويروى صالح الوضيحي أو أخوه بصري) وهما من البقعة من الثابت من شمر والأول فارس والثاني من أكبر شعراء شمر (وليس بفارس) ودريعي الشعلان شيخ الرولة من عنزة (ويروى أخوه مجول) ولم يكن عندهم تنن (تبغ) فسألوه هل يوجد منه شيء عند أحد فقيل لهم لا يوجد إلا غليوناً واحداً (أي ما يملؤه) وهم يسمونه بلغتهم سبيلاً (بكسر السين) عند خديجة الهذال فقصدوا بيتها وطلبوا إليها أن تجود عليهم به فقالت لا أعطيه إلا (بهوى) - أي بشعر يقال في وفيه - وكل من يجيد القول يستحقه دون صاحبيه فقال ابن شعلان وهو زوجها :

الله على التن الخديجي واناسه مع جادل مصيون ضافي لباسه^(١)
والمسك والريحان بفوجات راسه وهيل ييجينا مع ردود الحجيج

معناه: لله طيب هذا التن الخديجي، وفيه حسن تورية لأن الخديجي
نوع من التن وهو من أحسن أنواعه، ومعنى اناسه (أنسها) والضمير هنا
لخديجة وجادر (قادر) وبفوجات راسه (في فروق شعرها) ويروى بدل
بفوجات (بفروع) وييجينا (يأتينا) مع رجوع الحجاج ثم قال الهذال:

الله على التن الخديجي وفنجال

وتلاعبه من قبل.. الأجيال^(٢)

ومجابلك من عدل الرقاب رجال رجال ما هو باول العمر فيجي^(٣)

ومعنى مجابلك (مقابلك) بالتخفيف ومعنى فيجي (وزان جيد
المنسوبة) الحدث الذي لم تفاجئه ملمة قط ويروى بدل رجال ما هو الخ:
(فجاه من هو إلخ) ومعنى فجاه فاجأه ثم قال العجرش أو الوضيحي:

الله على التن الخديجي وغليون وشلفه نهار الكون وصفرا ومسنون
ابغي عليها ان صار طاعن ومطعون عند الجلايب مع تالي الهجيج

ومعنى شلفة (الرمح) والكون (الحرب) وصفرا (الفرس البيضاء)
ومسنون (السيف) الجلايب (النوق) ويروى بدل الجلايب: (الحلايل) وهن
النساء ويرون أيضاً (خلف العذارى الخ) ويروى الشطر الثاني الى هذا
الوجه هو: (وصفرا نهار الكون تدن ومسنون) ومعنى تدن (تقرب إلى

(١) ورد في الأصل بعض الشطر الأخير هكذا (مع جادر بالليل).

(٢) هكذا في الأصل، ورواية أهل نجد هكذا:

ومقابلك من تلغ الارقاب مكسال

(٣) رواية أهل نجد هكذا:

من قبل ما ياتيك قصاف الاجال

الحرب) ومعنى تالي الهجيج (آخر الهزيمة) فجادت خديجة بغليون التتن على الأخير وقالت لصاحبيه إنه أولى به منكما لأنه أجاد القول وأحسن المغزى ولم يشر إلى معنى بذىء (وهو الذي حذفناه هنا) ويسمي الأعراب طريقة هذا النظم (الركباني) ولنا شواهد كثيرة من أشعار الأعراب الحاليين على الفنجال ضربنا عنها صفحاً حذراً من السأم والملل.

وأما كون فنجال وردت في كلام اللغويين الأقدمين فشاهده قول صاحب التاج قال: (لطر جهارة شبه كاس في التكملة شبه طاس يشرب فيه وهو الفنجال).

وقد عرب العرب الكلمة المذكورة الفارسية بنكان بصور أخرى وهي: بنكام ومنجاته ومنقانة ومنقالة ومنغالة ومنكملة [بكاف فارسية] ومكانة [بالكاف المذكورة] فضلاً عن فنجان للدلالة على الساعة المائية المسماة عند الأفرنج (Clepsydre).

قال ياقوت في [١: ٣٨٣]: وعلى أحد أبواب هذه الكنيسة [كنيسة القيسان] فنجان للساعات يعمل ليلاً ونهاراً دائماً اثنتي عشرة ساعة وهو من عجائب الدنيا. ا. هـ.

وقال القزويني [٢: ٤٠٧] وبها فنجان الساعات اتخذ فيه اثنا عشر باباً لكل باب مصراع طوله شبر على عدد الساعات كلما مرت ساعة الليل والنهار انفتح باب وخرج منه شخص ولم يزل قائماً حتى تتم الساعة فإذا تمت الساعة دخل ذلك الشخص ورد الباب وانفتح باب آخر وخرج منه شخص آخر على هذا المثال. ا. هـ.

ومن هذه الشواهد ترى أن هذه الكلمة قد عربت منذ سابق العهد وليست حديثة النقل كما توهمه بعضهم^(٤).

* * *

(٤) لغة العرب ٣/٣٦٧.

قال أبو عبدالرحمن: منذ القدم وهجرة الأعراب تتدفق من جنوب الجزيرة إلى شمالها وقد غمرت قبائل الجزيرة براري العراق وأريافها وحملت معها عاداتها حتى صارت بيئة البادية في العراق صورة للبيئة النجدية. وهذه صورة عن عرب العراق أنقلها بقلم الأستاذ كاظم الدجيلي.

قال كاظم:

عرف العموم أعراب العراق وما هم عليه من السخاء وعزة النفس والإباء وحمي الجار والذمار والنجدة والشجاعة.

وما كنت أعرف السبب الذي يحمل الغربي على أن ينقم من العراقي ويرميه بالتوحش والهمجية حتى سافرت مع عدة رجال من فضلائهم وحينئذ أमित عني الحجاب المرسل على تلك الحقيقة الغامضة، ووقفت على السر الذي خفي على كثير من أدباء الغرب والشرق.

من عادات أعراب العراق أنهم يضيفون كل من يتزل بجوارهم وأنهم يقبلون كل ضيف مهما كان مذهبه ونحلته، ويعدون أكبر عار عليهم إذا دعوا أحداً إلى طعامهم ولم يجيبهم إليه.

وكم مرة نشبت الحرب فيما بينهم من أجل فنجال قهوة يعطى لأحد جلساء النادي (وهم يسمون النادي المضيف أو الديوان أو الربعة) فلم يشربه فيقتله صاحب الديوان أو يبارزه لكونه أدخل بشرفه لم يشرب فنجانه فتضرم نار الحرب بين القبيلتين أو القبائل ولا تنطفئ إلا بعد قتل النفوس الكثيرة من الطرفين لأنهم يعدون الذي لا يشرب فنجانه مغموراً في عرضه.

ومن عاداتهم أنهم يحتقرون الحضر أهل المدن ويصفونهم بالجن والبخل فيقولون إذا أرادوا أن يعبروا عن أحدهم بالذم: (هذا شنو حضري غلاك بابه اجال الطماطة ابومة بوليني) معناه من هذا؟؟ هذا

حضري يغلق باب داره دائماً حذراً من أن يأتيه ضيف وخوفاً من السرقة وهو يأكل دائماً الطماطة (البنادوري أو الطماطم) والجبنة إذا أراد أن يبول في الليل ينادي أمه لتذهب معه طرداً لما يمكن أن يسبب له الخوف.

وكذلك قل عن أهل المدن فيما بينهم فإن الذي لا يتسبب إلى قبيلة من قبائل الأعراب هو محقر عندهم أيضاً بخلاف المنتسب إلى قبيلة فإنهم يجلونه ويصفون إلى كلامه.

ومن عادات أعراب العراق أن الرئيس أو الشيخ منهم يعد نفسه في محله أكبر من سلاطين الدنيا بأسرهم وكثيراً ما يعقدون بينهم مجالس يتهمون فيها على قوانين الحكومات لزعمهم أن الحكم للسيف لا غير وقد ضربوا لذلك مثلاً قالوا: (الحق بالسيف والعاجز بريد شهود).

ومن عاداتهم أن الأدنى لا يجلس في محل الأعلى ولا يعلوه وإذا وقع مثل ذلك يعد الأعلى هذا العمل احتقاراً له وازدراء به.

ومن عاداتهم الاستياء ممن يتضجر من مجالستهم ولا يصغي إلى كلامهم ولا يظهر له الارتياح عند سماعه إياه ولا يسر بملاقة أحدهم ولا يبش في وجهه وهذه العادة في الشرق كله لا في العراق فقط.

ومن عاداتهم الجلوس على الأرض وإذا وجد من يجلس على الكرسي يذم عند قومه ويحتقر ويرمى بالكبر والجبروت.

ومن عاداتهم الجلوس على السفرة جميعاً والأكل من إناء واحد ولا يمد أحدهم يده إلى الطعام بل ولا يقدم عليه بدون إذن ودعاء. وإلا أحجم ولو مات جوعاً، ثم لا يمد المدعو يده إلى الإناء قبل أن يمدها الرئيس أو الداعي إياه.

ولما كان مخالفة هذه العادات عند الأعراب أكبر إثم من مخالفة خالق الناس ورازقهم لأن المحافظة عليها من أوجب الواجبات وأفرض الفرائض.

كانت مخالفتها عند الغربيين من باب مقابلة الضد بال ضد، لأن الغربي المدني يحتقر القروي، ولا يقبل ضيفاً لم تسبق معرفته إياه وإذا ضاف من يعرفه فتكون ضيافته بمنزلة دعاء إلى غداء لا غير، ويحب الغربي الجلوس في غرفة مخصوصة به، ولا يقبل زائراً بدون استئذانه وقد يرده إذا لم يرد مواجهته، وإذا ضجر من جلسه أو احتاج إلى أمر اعتذر منه في الحال، ولا يعمل عملاً مهما كان كبيراً أو صغيراً بدون أجره ولا يشرك أحداً في طعامه عند الأكل ولا يجلس إلا على الكرسي وعلى هذه قس ما سواها، وكل ذلك مما يخالف أخلاق العرب وعوائدهم كما يتضح ذلك لمن يعرف مصطلحات القومين^(٥).

وقال الدجيلي:

لا نكران أن العراقيين يجلون الغريب ويحترمونه كل الاحترام ويودون أن يسدوا إليه كل مكرمة ولا يعتذرون أبداً ممن يندبهم إلى كشف ملمة أو قضاء حاجة أو سد عون.

وهل يذم رجل تسأله أين الطريق الفلاني وهو يراك متحيراً غريباً فيشفق عليك وللحين يترك شغله ويذهب معك حتى يدلك عليه ويرجع عنك بلا أجره مكافأة؟.

وهل يسب فتى تنزل حوله فيحسن قراك ويقوم بضيافتك ولو بقيت مدى الدهر بلا من ولا أذى ولا جزاء ويقدم طعام عشرة رجال لرجل واحد وإذا فضل من ذلك الطعام شيء فلا يرجع فضالته إلى البيت الذي جاء منه بل يأكلها من حضر الديوان، لأنهم يعدون رجوعها أكبر عار عليهم؟!

(٥) لغة العرب ٣/٣٦٧ - ٣٧٠.

وهل يرمى بالتوحش شخص يراك وحيداً فيأتي إليك ويحدثك بملح
الأحاديث حذراً من أن تقول: ما أوحش هؤلاء القوم لا أنيس فيهم
ولا جليس!.

وهل يقذف بالغدر امرؤ تقول له: أنا بدمامك (وهم يقولون بوجهك
وأهل الشرقية بعقلك^(٦)) فيضطر إلى أن يرسل معك أفراداً من رجاله
(ويسمون واحدهم مسير^(٧)) والجمع تسيار ومسايير) ولا يتركك هؤلاء النفر
حتى ينزلوك أرضاً تكون فيها أميناً على نفسك ومالك، وحينئذ يرجعون
عنك بسلام ولا يأخذون منك درهماً ولا ديناراً ولو أخذوا لأنهم أميرهم
وللحقهم عار قومهم إلى الأبد؟.

وهل يحتقر إنسان تزوره في بيته فيتواضع لك ويتصاغر بين يديك
ويجلسك على أعلى المراتب ويقوم بخدمتك ولو كان أكبر منك بكثير لكي
يكون مصداقاً لقول شاعرهم:

لعمرو أبيك الخير إني لخدام لضيفي وإني إن ركبت لفارس
وإذا أصابك سوء وأنت في بيته فلا بد من أن ينتقم ممن أساء إليك
أو يقتل دونك.

ومنه قول الشاعر البدوي العصري النجدي (ويقال إن صاحب
هذين البيتين ريمان من شعراء نجد الفرسان) وهما في الفخر والحماسة.

ذبحت سبعة كلهم فرسان بين الظهر والعصر ما صليت
كله لاجل خاطر الضيفان خليت باجي سورهم بالبيت

(٦) بتحريك الباء بكسرة غير بيئة وإسكان العين وكسر اللام وفتح القاف التي يلفظونها كافاً
فارسية وفي الآخر كاف ساكنة.

(٧) بإسكان الميم وفتح السين المهملة وكسر الياء المثناة التحتية المشددة وفي الآخر راء مهملة
ساكنة.

معناه ذبحت سبعة فرسان لكونهم أهانوا ضيوفا الذين تركت فضلة طعامهم في بيتي لا يأكلها أحد حتى آخذ بثأرهم وكان وقت ذبحهم بعد الزوال أي قبل أن أصلي العصر.

وأعظم من ذلك الحكاية التالية التي تزري بفخر السموأل وهي : غزا ذات يوم كبير العمور (وهم يسمونه قليط والعمور فخذ من أفخاذ شمر ينزل مع الظفير وهم قوم ابن سويط^(٨)) وكان معه طائفة من قومه فصار عليهم عقيداً وبعد أن خرجوا من بيوتهم لحق بهم ابن صنيان السويط يريد الغزو معهم أيضاً ولما غنموا اختار ابن صنيان ناقة من الإبل التي غنموها قبل القسمة لكونه ابن شيخ العرب فأبى أن يعطيها إياه العقيد لأن من عادة الأعراب إذا غزا قوم منهم وأقاموا عليهم فللعقيد الأمر والنهي والعزل ومعنى العزل أنه يأخذ من الماشية التي كسبت قبل القسمة ما كان ظهرها أبيض دون سواه ولو كان في الجيش من هو أكبر منه ولو جود هذه العادة عندهم منع العقيد (العمرى) أي العموري واسمه نائف طلبة ابن صنيان عنه فأسرها الشاب في نفسه ولم ييدها لأحد حتى وردوا فخيم العرب وذهب كل إلى بيته وبعد بضعة أيام زار العقيد المذكور ابن صنيان في بيته (وهم يقولون سيرعليه) ولما أقبل قام له كل جالس إجلالاً لشأنه وأدنوه حتى جلس على الشداد^(٩) وما كاد يستقر بمكانه حتى أخذ الشاب السالف الذكر بندقية وضربه برصاصة من خلفه فأصاب مقتلاً بين كتفيه

(٨) أولاد سويط أو صويط ثلاثة وهم صنيان وجعيلان وحمود أبناء نائف بن سلطان السويط وكان لصنيان وهو الأكبر النظر بالأحكام والقضايا (أي العرافة) بين الأعراب وجعيلان وهو الأوسط مراسلة الحكام ورؤساء الأعراب وعقد العهود والمحالقات بين الأعراب وبين قومه . وحمود وهو الأصغر الرئاسة على الظفير وما زالوا على هذا السير إلى أن مات صنيان ثم جعيلان وقد بقي حمود رئيساً إلى الآن وهو حي يرزق.

(٩) بإسكان الشين المعجمة فдал مهملة مفتوحة بعدها ألف وفي الآخر دال مهملة متكا يتكا عليه وهو للبعير كالسرج للفرس .

فمات للحال ولما شاهد العمور ما جرى لزعيمهم قوضوا خيامهم وعزموا على الرحيل، وقالوا: إننا لا نريد جوار شيخ يقتل كبيرنا في بيته.

ولما سمع القول ابن صنيان حكم على أخويه وقومه: إن لم تأتوني بالصبي قبل المغرب لكي أقتله انتحرت فذهبوا يفتشون عليه فوجدوه في بيت من بيوت الأعراب فأتوا به إلى أبيه فمسكه وذبحه بيده كما تذبح الشاة وقال: إن ولدًا يهين مجاوري (وهم يقولون اقصري) في بيتي لحق أن يذبح هذا الذبح ثم أهدى رأسه إلى العمور ولما شاهدوا الرأس رجعوا إلى منازلهم السابقة. وقد وقعت هذه الحادثة في حدود سنة ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م على ما أخبرنا الحاج جار الله الدخيل العقيلي النجدي.

ونظير هذه الحكاية حكاية وقعت للمهدي^(١٠) شيخ حرب مع رجل من عنزة وذلك في أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة ومثلها لابن محلاذ واسمه (برجس) وهو من شيوخ عنزة الفرسان مع التمياط من شيوخ شمر واسمه مجحم وذلك قبل ٢٥ سنة ونحوها أيضاً لابن شعلان واسمه محمد مع رجل من الفضلة من شمر وذلك قبل ٤ سنين.

فبالله أيها العادل المنصف أمن الحق أن يقال لصاحب هذه الأعمال رذلاً لئيمًا وأن يقال لصاحب الأعمال التي تضادها فاضلاً كريماً؟.

فلينصف السائح الغربي نفسه وليجاز العراقيين في عاداتهم وأخلاقهم وإذا رأى بعد ذلك طريقاً للذم والانتقاد فله أن يسلكه وإلا كان ذمه إياهم ظلماً وعدواناً^(١١).

* * *

(١٠) بإسكان الميم وفتح الهاء وكسر الدال وفي الآخر ياء مشددة. الدجيل.

قال أبو عبد الرحمن: لعله مهمل المهادي من الفضول وقصته مع جاره مشهورة.

(١١) لغة العرب ٣/٣٧١ - ٣٧٤.

وهذه مقالة للأستاذ عبدالله الماجد عن الطب البدوي في قلب جزيرة العرب .

قال :

يقاسي البدوي من شظف الحياة في الصحراء، ما يجعله دائم العمل والدأب على جلب مصالحه، وتقويم أسرته، ينتقل من سهل إلى سهل، يتتبع منابع القطر، ينظر الأرض وقد اكتست بلباس أخضر من الكلاء، فتعود إلى نفسه نشوة الأمل، يطفح وجهه بالبشر، وكأنه عاش من جديد. وما هي إلا أيام ويتبدل هذا الفرح إلى هم حيث يفكر في تقويم قطع الغنم والجمال يبحث عن منطقة مكلثة له .

ولكن الانشغال، بالحياة المعيشية وكدها لم يمنعه عن التمتع والتصرف بأسباب أخرى من حياته هي بمكان هام في مجرى حياته، فجعل من نفسه طبيباً يعالج أسرته إذا ما مرضت، ويعالج أغنامه وجماله وخيله . فهو بذلك قد أخذ الطب عن أسلافه الذين كانوا يعرفون التركيب الجسماني للناقة، وفي ذلك نظموا شعرهم، وها هو طرفة بن العبد يقول عن ناقتة :

وجمجمة مثل العلاء كأنما وعى الملتقى منها إلى حرف مبرد
وأروع نَبَاضٍ أحذ مللم كمرداة صخر في صفيح مصمد

إن هذه الأوصاف لا تدل على ملاحظة عارضة عابرة، بل على مشاهدة عاقلة ودرس دقيق ليس في نطاق الشعر، بل هو بعلم الطب الصق .

وقد كان البدوي في عصور الجاهلية . يداوي بما له من الذكاء، ومن الاختبار من غير رجوع إلى قواعد ثابتة، أو علم منظم في ذلك .

يقول ابن خلدون - المقدمة: ٩١٨ - : (وللبادية من أهل العمران طب بينونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص ويتداولونه متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزه، وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على قانون طبيعي).

والطب أول ما نشأ في الجزيرة العربية كان بدائياً حيث اختلطت فيه العلاجات الصحيحة بالشعوذة والطلاسم، التي كان الاعتماد عليها في مقاومة إصابة العين والالتجاء إلى الحجامة أو الفصد، إلى جانب استعمال بعض الأعشاب التي تجلب عادة من الهند وبعضها ينبت في صحراء الجزيرة وكان من أول أطباء البادية الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي، وابن حذيم، وزينب طيبة بني أود، وكانت بارعة بالتكحيل (مداواة العين) عارفة بالأعمال الطبية وبالجراحة، ومنهم أبورمثة التميمي، والنضر بن الحارث بن كلدة، وكان بارعاً كآبيه.

ويرجع الطب العربي في أصله إلى مصدرين أساسيين: يوناني وهو الأصل، والثاني فارسي. ولا شك أن اليونان والفرس مدينون لمن سبقهم في العلوم، فقد نشأ الطب في آشور بابل، وقد اشتغل بالطب في مصر القديمة في القرن الثلاثين قبل الميلاد. اشتغل به وزير فرعون وطيبه الخاص في ذلك الزمن، وعقب ذلك تطورات لا مجال لذكرها في هذه العجالة.

واليوم في البادية عرافون كثيرون، تعلموا بأسباب الطب والمداواة، ولكنهم ليسوا كعرافي أسلافهم في القديم على قلتهم، وهم على قلتهم، لهم مكانة العرافة والتزعم في العرافة، وكان عراف اليمامة رباح بن حجلة، وعراف حجر الأبلق الأسدي، وقد شكوا عروة بن حزام حبه لعرفاء بعد أن أصابه من حبها ما أصابه:

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف حجر ان هما شفياني

فما تركا من حيلة يعملانها ولا رقية الا وقد رقياني
لقد أخذ أطباء البدو عقاير أمراضهم من نبات بلادهم وأعشابها.
كما فعل أسلافهم من قبلهم، ومن هذه النباتات والأعشاب، والحنظل وهو
لتسهيل البطنة بعنف والكافور ويستعمل لقطع الرعاف ويقوي الحواس
ويقطع الباه، والكمون يحل القونج ويطرد الريح، والنعناع وهو من ألطف
البقول، ويقوي المعدة ويسكن الفواق ويمنع القيء، والضال وهو السدر
البري، والرمث من الحمض، ومن الرمث أيضاً ما يشبه الغضا شجر جيد
للقود، والشيح وهو نبات مشهور، ويستعمل لتخفيف بعض الأرياح في
الجسم، والقيصوم وهو نبات مر المذاق، والعرمض والسنا وهو دواء
مسهل، والجعدي والبعيران والحرمل ويقطف عادة طلوع الشمس إذا أريد
علاجاً.

استعمل الطبيب البدوي الكثير من هذه النباتات والأعشاب، وعند
الحاجة التي تدعو إلى تركيب بعضها مع بعض، إما لإصلاح كيفية الدواء
أو إزالة كراهته أو لإضعاف قوته أو لرفع ضرر الدواء أو لحفظ قوته زماناً،
أولشدة المرض وقوته إذا لم يوجد دواء واحد يقاومه، أو لاختلاف مزاج
المريض.

يأخذى هذه المسببات، يستطيع الطبيب إجراء عملية تركيب دوائه،
والطبيب البدوي جرى في هذه التركيبات عن خبرة وحذق وتتم العلاجات
تبعاً لاختلاف الأمراض، فمثلاً في عضة الكلب (المغلوث)، يشق موضع
العضة، وتوضع عليها المحاجم وتمص مصاً قوياً، ويجتهد ليبقى الجرح
مفتوحاً.

وعلاج الملسوع ويكون بترك النوم حتى تتم المعالجة التي هي عادة
سبع ليالي أو أربع عشرة ليلة. وأحياناً يتدارك الملسوع، وتوضع على مكان
اللسعة المحاجم بعد شقها ويمص السم قبل انتشاره في أجزاء الجسم.

وقد اشتهر أطباء من البادية بفراستهم في الطب، وطول باعهم فيه من عرب نجد وذاعت شهرتهم بين القبائل، حتى أنهم إذا دعت الحاجة يرحل إليهم في مضارب خيامهم في مناطقهم المعروفة ومن هؤلاء رجل من مطير من قبيلة المجالسة يدعى (المقضي) لقد بهر هذا الرجل العقول بماله من إقدام وجسارة في الطب نادرة. من ذلك أن رجلاً من قبيلته انكسر فيه ضلعان بعد سقوطه من ناقته، وفي الحال حضر (المقضي) الطبيب، وأمسك بإحدى الكلاب وشق ضلوعه وفي الحال شق مكان ضلعي الرجل المصاب وأبدل بضلعي الكلب ضلعيه المنكسرين وخاط الشق بشعره من ذيل الناقة وبعد مدة من الزمن برىء فيها جرح هذا الرجل، وعاش سالماً كما كان.

إن هذه البراعة من النادر وجودها لدى غيره، وتعطي دليلاً لمدى حرص البدوي على معرفة كل ما من شأنه سد حاجة في منأى بعده عن الحضر، وقد اشتهر والده من قبله فكان طبيباً حاذقاً.

كان المقضي معاصراً للملك عبدالعزيز رحمه الله.

ومثله اشتهر ملفي بن زيد الحربي، وعلاجاته في نطاق الجمال والخييل، فهو طبيب بيطري. كان يعالج الناقة إذا أصيبت بكسر في إحدى قوائمها، يربط إحدى القوائم السليمة مع قوائمها الخلفية. ويجعل من تحتها مسنداً عمل كهيئة السرير بحيث يرفعها من تحت بطنها عن الأرض وتتكىء عليه، وتسند يدها المصابة بالكسر بجائر من الخشب وتبقى على حالتها هذه مدة أربعين ليلة بعدها تشفى.

ويعالج الناقة إذا أصيبت بفقد بصرها، وتظهر إثر ذلك علامات من تحت جفن العينين على شكل قطع بارزة، فتقطع رؤوس هذه الظواهر ثم يوضع مكان القطع قليل من الملح. ويأذن الله يعود بصرها إليها، ويسارع الطبيب في اتخاذ هذه الإجراءات قبل مضي أيام لكي يكون العلاج سهلاً،

تشفى في حالة، وحالة أخرى يعالجها عندما تصاب أنثى الفرس بعدم الإنجاب والحمل... يحدث هذا عادة بفعل تشقق الجهاز التناسلي للفرس. في هذه الحالة، تكبل الفرس بالقيود ويجري عملية سريعة لاستخراج جهاز التناسل، ونشره بحيث تظهر أماكن التشقق. في هذه الأثناء قد أحضر له عدد من الدواب الصغيرة التي تكثر في مناطق تزول البدو، تسمى هذه الدواب بـ (القعوس، أو القعران) لدى البدو وتثنى مناطق الشق على بعضها، ويترك للدابة الصغيرة أن تعض مكان الشق هذا، ويقطع رأس هذه الدابة عن جسمها، ولا يزال الرأس ماسكاً بمنطقة الشق. وهكذا حتى تنتهي عملية ترقيع مكان الشقوق لإعادة جهاز التناسل مكانه، يحفر في الأرض عب تجعل يدا الفرس بداخله، وتبقى أرجلها خارج العب، فترتفع مؤخرتها بينما تنحدر مقدمتها، ويعاد الجهاز التناسلي أو الرحم كما يعرف لدى البدو إلى مكانه، وينشر بداخل جسمها، ويجهز قطعة من التمر عجنت وخلطت مع بعضها متماسكة مع قليل من الملح والسمن وتجعل بداخل التناسل كخميرة له وبعد إتمام ذلك تطلق الفرس، وبعد عملية اللقاح مع الفرس من جديد تنتظم عملية الإنجاب بعد انقطاع.

بعد ذلك يحق لنا أن نعهد البدوي في الصحراء طبيباً ماهراً، يعبأ بجميع مستلزمات حياته على شقائها وشطف العيش فيها، وجعل من نفسه طبيباً ماهراً في كل ما يحل به وبقيبلته من بلاء، وحتى قطيعه تفرس في أمر تطيبه فجعل من نفسه طبيباً بيطرياً إن هذا هو البدوي في قلب الجزيرة العربية وهذا طبه في أعلا صورته^(١٢).

* * *

(١٢) مجلة العرب ص ٢ ج ٤ ص ٢٩٧ - ٣٠١ وللدكتور يوسف الحميدان مناقشة لهذه المقالة بمجلة العرب ص ٢ ص ٦٠٨ - ٦١٠.

وقال الدكتور حبيب صادر عن علاج بدو العراق للزهري :

جوب جيني (بجيمين فارسيتين مثلثتين) لفظة مركبة من كلمتين فارسيتين الأولى (جوب) أي خشب، والثانية (جيني) أي صيني ومحصل معناه الخشب الصيني والكلمة يستعملها العراقيون ليدلوا بها على النبات المعروف باللاتينية، وهو من الفصيلة العشبية.

والذي يستعمل من هذه النبتة هو جذرها وهو يقوم من عدة طبقات سمر اللون إلى الاصفرار طعمها حار ومر قليلاً ورائحتها بها لا تشبه رائحة شيء آخر ويغلى منها قدر تسعين غراماً على نار هادئة مع لتر ماء ويغلى إلى أن تصبح كمية الماء قدر نصف لتر فحينئذ ترفع وتصفى وتتخذ في أثناء اليوم الواحد.

ويستعملها البدو كلهم على هذه الطريقة ولا يتخذونها للزهري فقط، بل لكل الأمراض الجلدية كالأكزيما والقوباء والجرب، بل للحبل أيضاً ولجميع الأمراض النسوية وذلك أن المرأة إذا رأت أنها منحرفة المزاج عمدت إلى الجوب جيني وهذا العقار كثيراً ما ينتج نتائج حسنة في أعراض الزهري الجلدية فلذلك يعتقد كل البدو صحة شفاؤها فيشترونها بأسعار باهظة ويخزنونها في بيوتهم ولهذا قل من لم يفهم كلمة (جوب جيني)، ولكنها ليست بكافية لاستئصال داء الزهري الذي يزداد يوماً فيوماً في ديار العراق ومع ذلك تراهم لا يستعملون علاجاً سواها فيا للأسف من هذا الصنيع.

وفي المنطقة التي قضيت فيها مدة من الزمن أرجح أن سبعين في المئة من الأهالي مصابون بهذا الداء ويسمونه (أبو الخصيان) إذا أصاب مذاكير الإنسان ولأنهم لاحظوا أن المتزوج المصاب به لا يعيش له أولاد وإذا ظهر في الحنجرة أو البلعوم سموه (اللوات) وهم يعتبرونه مرضاً خفيفاً للغاية ولا بد لكل إنسان من الوقوع فيه ويعتقدون أيضاً أنه يخول الجسم مناعة دائمة وأن كل إنسان لا يصاب به إلا مرة واحدة في حياته لذلك تراهم

لا يخافونه ويتمنون لأطفالهم أن يصابوا به اعتقاداً منهم أنه يكون أخف وطأة عند الصغار.

ويقال عن اعتقادهم أيضاً أن الذي لا يصاب به في الدنيا يلاقيه في الآخرة وأظن أن هذا القول مبالغ فيه والذي تحققته بذاتي أنهم لا يتجنبون عدواه والتعرض للوقوع فيه.

ومن المعلوم أن هذا الداء وراثي ومكتسب أعني أنه ينتقل إلى الولد بالوراثة وينتقل إلى الغير بالعدوى وذلك باتباع العادات السيئة التي تساعد انتقاله من شخص إلى آخر وأنت تعلم أن البدو يكرمون الضيف كل الإكرام ويطعمونه أولاً، ثم يأكلون بعده لكنهم يأكلون ما تبقى من الأكل الذي أكل منه الضيف ويتمششون العظام إذا كان هناك عظام ومن الماعون نفسه الذي أكل منه وي بعده يشربون القهوة مع ضيفهم في فنجان واحد وأحياناً في فنجانين فقط فكيف يتاح للبدوي المسكين المحيط به عدد عظيم من هؤلاء المصابين بالزهري أن يتجنب هذا الداء فضلاً عن أنه يجهل ضرر هذه العادات فإذا لا بد من الوقوع في الشرك.

فإذا استمرت الحالة على هذا المنوال لا يمضي كثير من الوقت إلا ويعم هذا الداء البدو جميعهم.

وهو منتشر أيضاً بالصورة المذكورة في حضر العراق فهو منه أهم في المدن الكبيرة من البلدان الصغيرة ولا سيما العاصمة فانتشاره بين الشبية دليل واضح على توسيع نطاق سريانه، وهذا الداء من أهم المصائب التي تهدد المجتمع لأنه يفتك فتكاً ذريعاً في كل أعضاء الجسم فيدخل إلى الدماغ ويسبب جميع الأمراض العصبية والعقلية على اختلاف أنواعها وإلى العينين فيذهب بالبصر وإلى الأذنين فيعتربهما الطرش والصمم وإلى الحنجرة فيذهب بالصوت وإلى الخصيتين فيغدو الرجل عقيماً وإلى الكليتين أو الكبد أو الرئتين فيحدث فيها أعراض تشبه داء السل في تطوراتها وعلى

كل حال هو أفضع الأمراض وأخطرها على أعضاء الألفة الاجتماعية ولا سيما أن إصابته الشبيهة أكثر من غيرها.

والطامة الكبرى هي انتشاره بين البدو والحضر على قياس واحد من باب التقريب بعكس سائر الأمراض فالسل الرئوي مثلاً إذا كان متفشياً في المدن فهو قليل الوقوع في الأعراب لكن الزهري يزداد غمواً في القومين الحضر والبدو على حد سواء.

والمصاب الجسم هو أن هؤلاء البدو لا يستعملون علاجاً لهذا الداء إلا العشبة أو (الحبوب جيني) ومن المعلوم أن خاصية هذا النبات إدرار البول والعرق وأن تأثيره على جرثومة الزهري خفيف جداً لأنه يلطف أعراضه أحياناً لكنه لا يستأصل شأفته ألبتة ولذلك ينتشر الزهري الوراثي هائلاً في العراق أضعاف انتشاره في باقي البلدان ومعدله المئوي يزداد يوماً فيوماً فعسى أن تأخذ حكومتنا الوسائل الفعالة لمنع سريانه بين السكان وإلا فالخسائر لا تقدر (١٣).

وهذا نص آخر لسليمان الدخيل — رحمه الله — عن أخلاق أهل نجد.

قال :

أخلاقهم هي أخلاق العرب الأقدمين العزيزي النفس المتوقدي الذهن الأذكاء الشهام الأباة أخلاق لم تغيرها الحوادث والأزمان فهم اليوم أهل كرم وشجاعة ووفاء وسماحة وحمى ودخالة وسيرتهم توافق قوانينهم وتنطبق عليها أتم الانطباق ولا تحيد عن الكتاب والسنة فهم يجلونها أعظم الإجلال ولا يعتبرون إلا إياها.

(١٣) لغة العرب ٨٦٧/٩ — ٨٦٩.

نعم يوجد بين القبائل من يجري على قوانين وسنن راجعة إليهم وخاصة بهم يقومون لها ويقعدون لكن إذا جاؤوا المدن رجعوا إلى الشرع الشريف في أمورهم وشؤونهم الاجتماعية. هذا فضلاً عن أن لهذه السنن من المزايا والمحسنات ما تفيد كل الإفادة تلك الأقوام في هاتيك الربوع ولولا ضيق المقام لأتينا على ذكر بعض منها إظهاراً لمنافعها ولما أودعتها من الحكمة البعيدة المرمى والمبنى والمعنى.

والتجارة التي يتعاطاها أهل تلك الأرجاء هي الخيل والإبل وكلاهما من أحسن ما وجد من جنسيهما في الدنيا كلها جمعاء.

ولعلنا نعقد يوماً فصلاً فنذكر فيه ما يجب الوقوف عليه في هذا البحث.

والتمر وأنواعه كثيرة وأسماؤه هي تلك الأسماء القديمة لا تتغير وهذا يفيدنا في تصحيح بعض الألفاظ الواردة في هذا المعنى.

والسمن (واسمه عندهم الدهن كما يسميه العراقيون) والصوف والوبر، ويذهبون بكل صنف من هذه الأصناف إلى حيث يكون رواجه، فيذهب بالخيول مثلاً إلى بلاد الهند، وأغلب أصائل هذه الأنحاء من نجد، وينقلون الإبل إلى مصر والشام، ويحملون التمر إلى الحجاز ويبيعون الدهن أو السمن في البصرة والكويت والحجاز حسب الوقت الذي يوافق نقله أو يصادف تصريفه وإنفاقه في موطن دون الموطن الآخر الذي رخص فيه، وهذا هو سر أسفارهم المتراصة وتغريبهم عن أقطارهم العزيزة، ولهم في ذلك من الصبر والجلادة ما لا تراه في أقوام آخرين سواهم، فلأنك ترى الواحد منهم يقيم نائياً عن مسقط رأسه ثلاثين حولاً مثلاً ولا يتأفف من حالته ألبتة، وهم أهل سعي وكد وجد ولا تعيقهم الأخطار الشديدة ولا الأهوال الهائلة عن الوصول إلى ما به منفعتهم.

أبعد هذا تتعجب من كون كثيرين منهم وصلوا إلى لندن وأميركة
والديار النائية، فلقد يقضي واحداهم الأيام الطوال والأعوام الكثار بدون
أن يلتفت إلى وطنه .

أغلب زراعتهم متوقفة على الخنطة والشعير والذرة (الأذرة والأدرة)
والسمسم والدخن ويزرعون كل هذه الحبوب بقدر حاجتهم، وإذا حبست
السماء ماءها اضطروا إلى جلب ما يحتاجون إليه من البلاد الأخرى
كالكويت والبصرة والسماعة وغيره، ولقد كانت الزراعة تتقدم عندهم
تقدماً عظيماً لولا أمرين أحدهما: جور الحكام، والثاني: قلة المياه .

ولقد حاولوا مراراً استنباط المياه بالآلات المختلفة أو حفر الآبار
والارتوازية فلم يتيسر لهم ذلك، لصعوبة الطرق ووعورتها بحيث لا تستطيع
العجلات السير فيها .

وأما إذا قلت: فهناك جمال تضطلع بحملها: قلنا: تضطلع بحمل
بعضها لا بكليها لأنه يوجد آلات ثقيلة غاية الثقل لا يحملها البعير الواحد،
بل ولا البعيران أو الثلاثة، ومن ثم أصبح نقلها من البعيد التحقيق، ولولا
ذلك لأصبحوا في غنى عن الديار الأخرى في كل أين وآن، بل لزادت
حاصلاتهم على نفقتهم ولربحوا من التجارة بما فضل عندهم أموالاً طائلة
تأتيهم من البلاد التي يتفوق اليوم فيها أموالهم للحصول على ما يحتاجون
إليه .

ليس لهم من الصنائع إلا ما لغيرهم من مجاورهم من أهل الكويت
والبصرة كالتجارة والحدادة والسكافة والخياطة وما ضاهى هذه المهن،
ومهارتهم في الأسلحة غريبة فإنهم وإن كانوا أخلاء من جميع الوسائل
الميسرة لهذه الغاية فإنك تراهم يصلحون ما يقع من أنواع الخلل بينادق
ماوزر ومارتيني، وأغرب من هذا أنهم يفرغون المدافع إفراغاً محكماً
ويحسون التصرف بالمدافع الجديدة الطرز حتى إنك تخالهم أنهم تلقوا علم

المدافع عن أصحابه المهرة وإذا وقع في هذه الآلات خلل أصلحوه على أقوم وجه .

ومع كل هذه البراعة والتفنن لا تشاهد في أيديهم أدوات تامة العدة كما ترى في البلاد الراقية في المدينة .

وعندي أنه لو وجد بأيديهم آلات تساعدهم على تحقيق أمنيتهم لبرزوا في الصناعات على من سواهم ولأتوا بكل عجاب ، وأوقفك الآن على أغرب من هذا كله : أنهم يتحرون المباحث العلمية الدقيقة ويتبعون الاكتشافات الحديثة كالكهرباء والسلك الجوي وبعض الآلات البرقية وما ضاهى هذه الموضوعات الجديدة ، وأعهد واحداً في القصيم يضبط محله بالنور الكهربائي الذي هو من صنع يديه وقد ركب الأجزاء التي يتولد منه بأعمال فكرته .

وإذا كانوا لا يحققون دائماً ما يعتقدون النية عليه فهو لأنهم في شغل شاغل عنه بما يقومون به من أمر المعيشة وتطلبها في الأقطار النائية .

بقي علينا إيراد أمر الديانة والاعتقاد عندهم ، فقد أسلفت وقلت إنهم يعتمدون على الكتاب (القرآن) والسنة (وهي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) ولدي بحث جليل في هذا الموضوع وهو لا يخلو من فائدة لمن يريد تتبع الحقائق على وجهها الصادق الصحيح واستقراء ثواب الأمور ، ولعلي أعود إلى هذا المجال في فرصة أخرى .

هواء البلاد : لا تكاد تلفظ كلمة نجد إلا وتتصور هذه البلاد تحت عينيك ومهب عليك نسيمها ويتلاعب أمامك هواؤه الطيب الجاف ، لأن معنى نجد ما أشرف من الأرض وارتفع واستوى وصلب وغلظ . . ولا يكون النجد إلا قفا أو صلابة من الأرض من ارتفاع مثل الجبل معترضاً بين يديك يرد طرفك عما وراءه . . (عن التاج) ، والهواء في منتهى الحرارة

وقد تبلغ في الظل في بعض المواطن ٥٢ درجة بالميزان المثوي، وعند الصباح يهب نسيم طيب لذيد في الصيف وإذا تكبدت الشمس السماء انقطع الهواء في شهر تموز وآب وأيلول حتى يكاد الإنسان يموت اختناقاً إلا أنه لجفاه لا تؤثر كثيراً على الصحة، ويضطر من يسكن تلك الديار إلى اتخاذ المآكل الخفيفة الهضم والانقطاع عن المسكرات والامتناع عن الأطعمة المطبوخة باللحوم الثقيلة.

تأثير الهواء على السكان: اعلم أن أغلب الأمراض تتولد هناك من الكبد لشدة الحر، ومن مؤثرات الحر على أهل البلاد أن أغلبهم ضعاف نحاف سمر الألوان طوال القامة إلا أنهم أقوياء يحتملون الجوع والعطش إلى درجة لا تكاد تراها في سواهم، وهم عصبيو البنية ذوو عزم شديد ومضاء بعيد إذا قصدوا شيئاً لا يرجعون عنه ولو كلفهم كرب الموت وإراقة الدماء وهم من بين جميع العرب سريعو تلقن العلوم والمعارف بل هم يتلقفونها تلقفاً لسرعة تناولهم إياها وكذا قل عن الصنائع والفنون على اختلاف أنواعها وضروبها.

ليس في بلد من بلاد العرب من يحصي عدد الأنفس. هذا فضلاً عن أن هذا العمل عندهم مشؤوم إلا أن العارفين يقدرّون أهل نجد بما ينيف على مليون نسمة.

يتضح لك مما أسلفنا ذكره أن بلاد نجد من أحسن بلاد جزيرة العرب تراباً وهواء، ولهذا قال ياقوت في معجمه: لم يذكر الشعراء موضعاً أكثر مما ذكروا نجداً وتشوقوا إليها من الأعراب المتحضرة من ذلك قول أعرابي:

حينئذٍ إلى أرض كأن ترابها إذا أمطرت عود ومسك وعنبر
بلاد كأن الأقحوان بروضه ونور الأفاحي وشي برد محير

أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي
وما نظري من نحو نجد بنافع
أفي كل يوم نظرة ثم عبرة
متى يستريح القلب إمامجواز
وقال أعرابي آخر:

فيا حبذا وطيب ترابه
وريح صبا نجد إذا ما تنامت
بأجرع ممراع كأن رياحه
وأشهد لا أنساه ما عشت ساعة
ولا زال هذا القلب مسكن لوعة
إذا هضبت به بالعشي هواضبه
ضحى أوسرت جنح الظلام جنائبه
سحاب من الكافور والمسك شائبه
وما انجاب ليل عن نهار يعاقبه
بذكراه حتى يترك الماء شاربته^(١٤)

* * *

وقال الشيخ إبراهيم بن عبيد:

كانت معاملتهم حسنة ويحنو بعضهم على بعض لأن غالبهم كانت
طاهرة قلوبهم واللين مما كانت القلوب عليه الآن والدنيا لم تبسط عليهم كما
بسطة على من بعدهم فكان الإنسان يعطي وإن كان من قلة ويبدلون
أموالهم في الأوقاف على الفقراء والمساكين وطلاب العلم والأئمة والمؤذنين
فإنك لا تكاد تجد نخلاً من النخيل إلا وفيه تمر معلوم للصوام أو مؤذن
المسجد أو إمامه أو مصابيح المسجد ويتسابقون في الخيرات كما أن غلات
الأراضي تكثر فيها الأوقاف ويعمرون المساجد ويؤنون الضعيف ويرحمون ذا
الفاقة هذا وما كانوا يعرفون طيارة ولا سيارة بل لم يتمكنوا من تسييرها
ولم يتوصلوا إلى هذه الكهرباء.

(١٤) لغة العرب ١/٦٣ - ٦٩.

أما جعل مراكب برية كهذه المصنوعات فقد أوجدوها غير أنهم لم يستطيعوا تسييرها إلا ببغال أو جمال أو حير تجرها وغالب سلاحهم إنما هي أم فتيل أو مدافع تجر ويجعل فيها البارود والقبس وسيف ورمح ونحوها.

أما المصابيح إذ ذاك فكان مادتها الودك يلقي فيها فتائل وتوقد أو شمعة وتحوها لذلك كانوا إذا أغار بعضهم على بعض وطلبوا المغير عليهم ليلاً ليستردوا ما أخذ يربطون قدراً بين بعيرين ويوقد في هذا القدر نار من حطب ليقصوا الآثار ويسمون مشعل الشيخ أي الرئيس وما نشأت إذ ذاك هذه الأهوال والمهمات وما كانوا يعرفون الكهرباء أو اللوكس أو شيئاً من البترول ولم تظهر هذه المطابع التي هيأت توفير الكتب والمطبوعات والرسائل وغيرها في هذه الأزمنة وعلى قياس هذا تعرف أنهم في بداوة.

وغالب الشعراء الذين لم يتعلموا العلم إنما كان شعرهم نبطياً فيه فصاحة وبلاغة فيرى غير موزرون كما يشاهد في شعر حميدان والقاضي وابن ربعة وابن عرفج وابن لعبون وكانوا يعيرون نسب الحداد وأهل الصناعة كالنجار والطار والصيرفي، فمتى كان المرء كذلك فهو ساقط النسب عندهم وكان الرجل إذا أحسن إلى الرجل وأراد مكافأته ينصب على بيته راية بيضاء وينادي عليها فلان بيض الله وجهه^(١٥).

رفعت له بيضاء على رأس شاهق أعلل رباعي بالثناء من خصاله
له ترفع البيضا ويحدى بذكره فتى تنجلي أكارها من فعاله
تسلسل حرا بين قوم أعزة فعم كريم مع جلالة خاله
وكانوا يعتنون في الفلاحة لا سيما النخيل والزرع كالبر والدخن وقد جعل الله فيها بركة أعظم منها اليوم.

(١٥) قال أبو عبد الرحمن: ليس هذا معروفاً في بادية عصور العامة مع أن في أمثالهم: تنشر له البيضا.

وقد حدثنا والدنا السعيد قدس الله روحه أنهم أنكروا الساعة لما حدثت حتى أطلق عليها بعضهم أنها صنم .

ولما جاءت لأول مرة إلى القصيم في أمانة حسن بن مهنا يحملها رجل العقيلات وشى بعضهم إلى الأمير حسن يقول إن معه صنماً فلما ألقى الأمير القبض عليه وفتشه وجد الساعة لا يعرفونها إلا أنها صنم ، وذلك لأنه لا يوجد ساعات في نجد إذ ذاك وكان لأهل نجد عادات وأخبار عجيبة .

ومن أبلغ مشروباتهم قهوة البن فإنهم يتغالون في تقديمها وعملها ولهم أشعار رائعة في القهوة لأنهم كانوا يرون فيها رجولة وتقدماً فهي أعظم ما عندهم من الحشمة يقدمونها على اللحم والألبان وسائر المأكولات ويستنشقون رائحتها إذا حمصت أبلغ من استنشاق العود والبخور والطيب والعطر ، ولا سيما إذا صبت كنفاعة الحناء فإن لهم شعراً بصفاتها ويرون إكرام الضيف وحسن الجوار وتزويج الأكفاء وإن كان المهر قليلاً ولم يفش فيهم الترف والمدينة إنما يخوشون في بعض الأحيان تأديباً مع الشريعة ولكل زمان دولة ورجال^(١٦) .

* * *

وقال عباس العزاوي :

من سمر البادية ، ومن أكثر ما يلهج به البدوي اختيار الزوجة ، ومراعاة أصلها ، وطيب نجارها ، وعراقة نسبها ، وهي عون في حياته ، أو شقاؤه ومذلتة ، ويلهج العربي دائماً بقوله (العرق دساس) ، (ثلثا الولد لخاله) و (دور علي المنسب ترى الخال جزار) و (بنت الذلول ذلول) ، وكلها تدعو إلى لزوم التحري عن الزوجة اللائقة ، وأساساً إن الزوجة ليست بضاعة تشتري أو تباع ، وتتداولها الأيدي ، والقوم إذا رأوا أدنى عيب في

(١٦) تذكرة أولي النهى والعرفان ١/١٤٩ - ١٥٠ .

القبيلة يتوقون من الاتصال بها، ويتباعدون خشية أن يدس العرق، وإذا كان المخول رديئاً نراهم يتباعدون حذر أن يتورث عرق الخؤولة، وهكذا الوارثة مراعية عندهم في الخيل والإبل.

وفي الوقت نفسه يحضون على أخذ النساء والإكثار منهن ليكون للمرء أولاد يكيد بهم أعداءه، ويقهر منافسيه، فيقولون: خود من النساء وجيد العدا (خذ من النساء وكد الأعداء)، ولا يحصى القول في هذا الموضوع.

وإني ذاكر بعض الحكايات في النسب، واختيار الزوجة، ولا يختلف فيها البدو والمثالي لا يقتصر على من قيل فيهم، وإنما الأمر مشترك في الكل، ومعتبر بين الجميع، ولا يستثنى إلا الصلبة فإنهم يعدون غير أكفاء لسائر العرب في الاختيار.

بنت رغيلان — أم شلهبة:

يحكون أن أحد رجال شمر المعروفين، فهد بن الغواري من العمود دعا ابنه أن يتزوج ابنة صالح بن رغيلان من قبيلة اليحيا من شمر وهم أحوال صفوق وفارس آل محمد ولما كانت هذه الأسرة معتبرة عند البدو حض ابنه أن يتزوج ببنت صالح، وهو يعلم أن والد البنت لا يمنعها لما لعشيرته وأبيه من المنزل النبيلة، والمكانة المعتبرة عندهم.

ذهب الولد فرحب به والد البنت، وبعد المفاوضة طلب مهراً (سياقاً) عشراً من النوق الغتر (البيض) فلم يبد الابن موافقة واستكثر الطلب وأن يدفع للبنت هذا القدر من المال، وعنده أن كل ناقة تساوي امرأة أو عشراً من النساء!

رجع الولد دون أن يظهر غرضه، وسأله أبوه فكان جوابه أن أباه لم يوافق على إعطائها له، فاستنكر والده ذلك، وغضب على ابنه وقال له: طلب منك ما استكثرته، ولامه على فعلته، ثم حثه على العودة مرة أخرى،

وفي السنة التالية بين أنه يقدم العشرة المطلوبة، فأجابه أبو البنت أنها ليست بضاعة يساوم عليها فإن شئت أن تعطي عشرين ناقة من الغتر تقدم، فلا أوافق على أقل!

وفي هذه المرة استعظم المقدار، وعزم أن لا يتزوجها وعاد بصفقة المغبون فلقي من والده لائمة أكبر، وأمره أن يأخذها بما كلفه الأمر، وأن يقدم له ما يطلب منه وأن لا يتردد في القبول، أو يتأخر في إنهاء القضية باكراً أنه إذا حصل منها ولد فإنه النعمة التي لا يعدلها ثمن، ولا يقدر بإبل وشاء وإن أباه لا يردك إن رأى منك رغبة صادقة مراعاة لجاء أبيك!.

وفي هذه المرة نزل ضيفاً عند الأب، وكان قد خرج إلى البر لقضاء حاجته، فوجد بنتاً جميلة جداً خرجت من البيت ذاهبة للاحتطاب فأعجبته فسألها عن البنت المطلوبة فمدحتها وأثنت على جميل خصالها، وقالت: أنا لست بشيء بالنظر إليها، ولا مته بل عفته على تأخره عن الأخذ، وأن والدها ليس له أمل في أخذ المال!.

طلب الأب منه في هذه المرة ثلاثين ناقة، وأبدى أنه لا يعدل عن واحدة فلم يتردد الولد وأعطى المطلوب.

أما الأب فإنه أثر ذلك وبعد تمام العقد أعاد الإبل جميعها وأعطى ناقة للبنت من ماله وأخرى لخادمتها، وسيرها بالوجه اللائق والأتم، وبين أنه أراد أن يبرهن للولد بأن البنت عزيزة عنده ولم تكن ذليلة، ولا غرضه أن يساوم، أو يربح ربحاً منها، وبعد ثلاث سنوات ولدت له ابناً ثم آخر!.

مضت مدة على زواجه وفي يوم من الأيام صادف ليلاً ناراً موقدة في بيت من بيوت البدو فوجد عندها بنتاً تصطلي على النار تتشلهب فأعجبه بياض ساقها ونعومة بشرتها وفي تلك الليلة طلبها من أبيها فتزوجها وعلقت منه وصار له منها ولد.

كبر الأولاد، وكانوا قد بلغوا مبلغ الرجال، ويؤمل منهم ما يؤمل من أمثالهم للحروب والغزو أو حفظ المال والأهل والنضال عنهما عند الملهمات!!.

وكانت قد حصلت منافرة في هذه الأيام بينهم وبين قبيلة عنزة المشهورة، فمال عليهم بعض غزاتها فانتهبوا إبلهم وكان من رأي ابن (أم شلهبة) أن لا قدرة على الحرب والأولى أن يعودوا ويفروا بأنفسهم فاعترضه ابنا (بنت رغيلان) بأنهما كيف وبأي وجه يرجعان إلى جدتهما وقد أخذت إبلهم ونهبت من بين أيديهم فأجاب ابن أم شلهبة نعوض له إبلًا أخرى تعود لنا، فلم يوافقوا على هذا، ولم يرجعوا وإنما تحاربوا مع العدو وانتزعوا الإبل المنهوبة ومعها بعض (الكلايع) ورجعوا غانمين، ظافرين، وكان قد سبقهم ابن أم شلهبة فأخبر جده بما خاطر به الأولاد الآخرين، وما جازفوا، فبقي صامتًا ساكتًا، لا ينبس بينت شفة وآثار التآلم بادية عليه، ولا طريق له في هذا الليل أن يعمل عملاً ما وصار لا يهجع وكان يعبث بالنار، في عصا بيده ويزيد في الوقود، وهو مضطرب.

وعلى كل كان على أحر من الجمر، وبينما هو كذلك إذ جاء أحد الولدين وكان قد سبق صاحبه راكباً فرسه ليشر جده، وبقي الآخر مع الإبل يمشي على مهل، فبشره بالنجاح واستعادة الإبل، وما جرى من انتصار وأنه سارع لإخباره، ففرح جداً، ولقب الفار بابن (أم شلهبة) وبقي النبز ملازماً له وخاطب المنتصر قائلاً:

ان جدت انا جاذبك من مجاذبك
وان برت هو اولاد الصكور تبور^(١٧)

(١٧) الشطر الأخير منكسر. أبو عبد الرحمن.

وهكذا يقصون الحكايات الكثيرة من هذا الموضوع وكلها لا تخلو من دقة وعناية أدبية وعندنا أيضاً (العرق دساس) و(إياكم وخضراء الدمن)، والأشعار في هذا الباب كثيرة.

والبدو يتلاعبون في البيان، ويراعون كل وضع أدبي، تصدر هذه ممن يعرف كيف يستهزئهم بلفظه، وإشاراته، وتزويق رأيه مما يزيد في الحكايات رشاقة وفي الكلمات رقة وحلاوة وفي السبك طلاوة.

ولا يتيسر هذا لكل بدوي فما كل من نطق خطيب، ولا كل من كتب بليغ، ولا من زاول النظم شاعر، وإنما هناك مواهب قرنت بممارسة وتمرين.

وكل فتور، أو ظهور حوادث جديدة يتخذونها موضوعاً لتقوية فكرتهم المعتادة من لزوم اختيار الزوجة من نسب عريق، وأخلاقهم العامة تأبى أن يتناولوا كل مأكّل، وهم كما قيل:

ولو كنتموا أنسابهم لعزتهم وجوه وفعل شاهد كل مشهد

أو تراهم يقولون:

خواله ما هم من عمامه

دور الاصل والمغني الله

ابن ابنك ابنك وابن بنتك لا

ولا يراعون دائماً الحب والعشق أو الحسن في الدرجة الأولى، وإنما يلتزمون الأصل الصريح، ويقولون (مضرباً) لمن أخواله ليس من أعمامه، أو من أصل رديء وهو المعروف بـ (الهجين)، وهكذا الأمر معتبر عند العرب القدماء، وفي كتب الأدب مباحث خاصة في الخؤولة عند العرب.

اختيار النسب - الحب:

عوائد القوم في الزواج مقرونة بتقاليد لم يكن أساسها الجمال وحده كما أن الاختلاط واتصال الجنسين معروف في البدو، ويراعى اختيار الوالدين في انتخاب الزوجة وللتودد دخل، وأصله الرغبة الخالصة ومثل هذا ليس بالقليل، وقد يجتمع الأمران.

إن الضرورة أو الحاجة تدعو إلى الاتصال الدائم والاختلاط المستمر سواء في حلهم وترحالهم، وفي الأفراح والأعراس يختلط القوم ويشتركون جميعاً وهم في هذه الحالة بمنزلة عائلة واحدة، وكذا الأمور التي تجلب السخط، والزرايا العامة، والمصائب الطارئة أثناء الغزو وهجوم الأعداء، أو موت عزيز أو قتله.

ومن ثم نرى التكلف، والتأثر بما يحدث مما يؤدي إلى هذا الاختلاط نوعاً ومثله الجيرة والقربى، والمجالس المعروفة بالدواوين، بل وسكنى الخيام.

كل هذه من دواعي التحابب والتقرب في الزواج، ولكن ذلك كله محاط بسياسات قوية من عفاف، وخوف هما نتيجة تقاليد موروثة مثل النهوة من الأقارب بما لم يبق أملاً في العشق والحب أو الرغبة وإلا عرض المرء نفسه لأخطار قد تشترك فيها جميع أفراد القبيلة بالتناطح والتطاحن وتحول دون الرغبة في الزواج، وفي هذا يراعى رغبة الزوجة فإذا قالت أنا باغيته، أو أنا ما باغيته فلا يخالفون ذلك، وغالب ما تلاحظ الزوجة الشجاعة وحسن السمعة والكرم وسائر الصفات المرغوب فيها.

وكل هذا لا يمنع أن ينتقى النسب الصالح ويغالى فيه، والتحوطات لها مكانتها مما تجب مراعاته في الغالب، والمرأة إذا لم تقبل واحداً ورفضته فلا يتقدم عليها ويأنف قربها بعد أن تعلن راغبة عنه، وكذلك هو لا يتصل

بها وإن ملكت جمال العالم وكان في نسبها خلل، أوفي أصلها عذوبة
(علة) كما يقولون.

بنت الذلول ذلول:

هذا المثل يعين ناحية مهمة في اختيار الأصل والنسب المقبول بطريقة
أن من لم يراع حكم هذا المثل يناله ما نال الرجل الذي كان مضرب هذا
المثل فيقع بما لا يرضى ولا يحمد، وذلك أنهم يحكون أن رجلاً أحب امرأة
وأراد أن يشاور آخر في أمر زواجها وكان يأمل أن يشاركه في التشجيع على
الأخذ في حين أنه يعرف أن أصلها رديء، وكانت أمها مشتبهاً في عفافها.

نهاه صاحبه أن يتصل بها نظراً لسوء جرثومتها، وأن لا يختار هذا
المركب فلم يوافق على رأي المستشار وقال له ليس من المعلوم أن تتابع
أمها، بل تتجنب ذلك السلوم الرديء ولا تعلم عنه، ولما كان عازماً على
التزوج نهاه صاحبه ولامه من جراء استشارته فقال: كنت آمل أن تميل إلى
رأيي فلما وجدتك خالفني فلست مضطراً على مراعاة فكرتك!.

انتهى الحديث بينه وبين رفيقه وتزوجها، وفي أحد الأيام أراد أن
يعبر من مكان فيه نهر وقد امتنعت عليه الإبل من العبور، وتعسر عليه
ذلك استطلع رأي زوجته في الأمر فقالت له:

عندنا بكرة أمها ذلول، وهذه تعبر، وتتبعها الإبل، فقال لها إنها
ليست ذلولاً ولم تركب بعد فقالت له:

ضع زمام أمها في رأسها وهي تعبر فاعترضها فقالت: إنها (بنت
ذلول) وعلى كل تكون ذلولاً، وحينئذ وضع الزمام في رأسها فانقادت
وعبرت الإبل.

ومن ثم تيقن الرجل صحة قول رفيقه من أن (بنت الذلول ذلول)
وقطع في هذه التجربة التي أجراها على يد زوجته، وعلى هذا أخبر زوجته

بأنه سوف لا يرضاها، وأنه يخشى أن تكون ذلولاً كأمرها فطلقها، ولم يسمع منها دليلاً أو كلاماً آخر بعد أن وضح له الأمر عياناً في المثال المضروب.

ثم تبين للزوج أنها كانت قد خانتَه ولكنه لم يستطع أن يعلم ذلك وإنما عرف الحقيقة بعد أن تزوجت بآخر فظهر عليها ما كانت تكتمه خفية.

وهكذا تضرب الأمثال في رداة النسب وما يجر إليه، وصلاح النسب وقيمته الأدبية وفي الخؤولة لا ترعى القاعدة دائماً، وإنما يتزوجون من القبائل الأخرى المماثلة ومن أكفاء القبائل، ولا يشترط أن يكون من نفس القبيلة وإنما يقصدون بالمخول المخول الرديء وقد مر أن بعض القبائل تزوجت رؤساؤها بنساء من قبائل أخرى لا تمت إليها بصلة.

المهر - الحداد:

يلاحظ في الزواج أنه تابع للرضى، ومقدار المهر مختلف جداً، والزوجة لها مهر يقال له (هفيان)، أو (الهافي) وهذا تستحقه بالزواج، ومهر آخر يقال له (النميان) وهذا عند النزاع والتفاخت (الطلاق) يعاد إلى الزوج وأكثر ما يتوضح في قضايا صليب.

وهناك شيء شبيه بالنهوة وهو أن الزوجة إذا لم تأتلف مع زوجها، ناصرها أقاربها. في تقوية هذا الخلاف وتفاختوا (تطالقوا)، ولكنه في هذه الأثناء قد يشعر الزوج بأن في ذلك تدخلاً، وأن هناك من يرغب في التزوج بها بعد طلاقها، وحينئذ يستعمل الزوج حق (الحداد)، وهذا الحق هو أن ينهى الزوج أولئك المشتبه فيهم في التزوج بها بعده. ينذر أولياء الزوجة فينهاهم بمحضرشهود وينهى المشتبه فيهم، ومن ثم تكون له المطالبة بهذا الحق عند حصول الزواج بعد الفراق وهذا محدد في التزوج بمن عينهم خاصة.

جمال البادية:

وصف الشعراء في الجاهلية المتجردة وغيرها فأبدعوا، والمنتبسي (ظباء الفلاة) ورجحهن على الحضريات فأجاد كل الإجادة، ولكن لا يقل عنه في الإبداع والإجادة ما نسمعه من شعراء البدو من نعوت بنات اليوم، وقد يزيدون في كثير من الخصال والجمال الطبيعي فإذا تعشق البدوي ينطق ويستنطق، وليس هناك ريبة، ولا ارتياب، بل قد يكون واسطة تحريك النفوس، ولا يتجاوزون في الوصف إلا إذا كان بطريق التعمية دون ذكر الاسم أو بيان ما يدفع الشبهة كأن يقول حبيته في موطن بعيد يصعب الوصول إليه، ويبدى حيرته في عظم الشقة، ليبعد سامعيه عن مراميه.

يحكون أشبه ما هو معروف بالروايات، وتصوير حوادث أشبه بحادث المتجردة، أو يصف ما جرى بينه وبين محبوبته كأنه واقعي، وهناك الاستجواب والحوار ولا يستطيع أحد أن يصرح باسم وإنما يعد هذا عيباً كبيراً ويؤدي إلى نتائج وخيمة، فهذا سالم بن عبيد الرشيد يصف وصفاً لا يقل عن شعر عمر بن أبي ربيعة قال:

البارحة يوم القبائل نعوس	وخليف ساهر والمخالق غافين
لقيت غرو دالع باللبوس	قالت لغيري، قلت انتي تشدين
قالت أصبح وقلت ما انتي عروسي	والله لا صبح لو بغيتي تصيحين
قالت يجونك قلت ماني نسوس	الله يحكم باليس وانتي تشوفين ^(١٨)
قالت تعلم قلت ماني بلوس	وعلي العلم يا بنت ما حدني شين

ومثل هذا حكاية أخرى لشمري^(١٩) يصف بها امرأة، ولا تعدو التصوير قال:

(١٨) الله: الاله - أي إلا أن.

(١٩) هو بصري الرضيجي وانظر الشعر عند البدو ص ١٩٨ - ١٩٩.

غاب الحليل وشفّت بالترف ميلاح
 قالت تقلع لا ارهج النزل بصياح
 قمت انبطح له واديره بالامزاح
 ثار الحبيب وطبق البيت بسياح
 غطيت بالثوب الحمر زين الملاح
 قالت تنقل والا هذا الصبح باح
 وقلت ماني عفن للسر يباح

وجيت اتخطى جن اهلها نسابة
 ماني من اللي بالردى ينهقي به
 لان الحبيب وقام يضحك بنابه
 وكشفت عن نابي الردايف ثيابه
 لما شعاع الصبح بين سرابه
 ووداعتك اعراضنا والحزابة^(٢٠)
 اللي ليا قفى رفيقه حكى به

وأراد أن يبعد المرمى، ويزيل الشبهة فقال:

علمي بهم يا غنيم يوم المطر طاح
 ما ادري مع اللي سندوايم الاسياح
 وهكذا يقول آخر:

واليوم ما ادري وين ربي دوابه
 والا ويا اللي فيضوا يم طابة

يضحك بحجاج العين كله رضى له
 والعارض المنكاد من دون خلي
 ما ياصل المجمعول كود فاطر لي

مخفي كلامه خايف من دنياه^(٢١)
 والوشم وسدير وجملة قراياه^(٢٢)
 مكملة المربع والصيف ترعاه

يريد أن عشيقته تضحك له بحجاج عينها، ولم تطق أن تظهر
 نفسها، ولا تبدي كلامها خوفاً من أقاربها الأذنين، ولما رأى أن قد أوجسوا
 منه، وشعروا أنه يعني من عندهم صرف الأنظار إلى محبوبة بعيدة في
 مواطن عددها بينها وبينه، وهولا يستطيع الوصول إليها، فشوش الغرض،
 وغير القصد، وأعلن حبه كما يريد وأبلغها ذلك.

(٢٠) عند العزاوي والكمالي: تنقل هذا.. عرضنا.

وهاتان الروايتان تخلان بالوزن.

(٢١) عند العزاوي: يضحك لي.

(٢٢) في الأصل: مع جملة.

ولابن رشيد(٢٣):

يا حمود انا عارضي شاب وطرده الهوى جزت انا منه
يا كود وضاح الانياب هذاك مني وانا منه
الزين لو هو ورا الباب لزم عيوني يراعنه
نبوية حشو الاثياب ونهود لثوب زمنه
وياما حلا جدع الاسلاب واركاي سني على سنه
فأجابه حمود:

وصلت خيراً يا محفوظ!

ويطول بنا إيراد ما هنالك مما يصور نفسياتهم المختلفة من حب
وخلاعة وإعلان أغراض متنوعة!.

ولهم في الوصف وإبداء الحب لا تلاعب وتنوع، كل يحكي نفسيته
وينطق بما خالجه ضميره وهم أقدر على البيان، وأسرع في إدراك الدقة
والملاحظة وما تأثر به من الجمال وهذا كثير لا يحصى حتى إن بعضهم قال
لي لو أردت أن تكتب حمل بعير كتبت، وقديتها لك القوم، ويقع التزاحم
على المورد العذب، فيكون ذلك من أسباب إهمالهن أو تأخرهن مدة خوف
الفتنة، ومن جراء كثرة الرغبات.

وقد تطالب المرأة بشعر وتبدي رغبتها من جراء ما ترى من تزاحم
وأن لا يتمكن الواحد من الإقدام عليها.

وهذه البدوية وهي مويضي المطيرية تقول:

يا عم جيتك بااتشكى دوك الركائب بروك

(٢٣) هذه المهجينة لمحمد العبدالله الرشيد ونسبت خطأ لعمه عبيد. انظر الفنون
الشعبية ص ٥.

يالعن ابو عمر ما تزكى تر زكاة العمر هز الورك
وأحياناً تؤدي المنازعات إلى قتال عنيف.

وبعض جميلات البادية طلبهن رؤساء كثيرون فلم يوافقن إلا على من
كان شهيراً في عرافة نسبه، وله الذكر الجميل في الشجاعة والحرب ويطول
بنا ذكر من اشتهر بالجمال.

والحاصل بعض عوائد القوم في الزواج مقبولة، وبعضها مثل
(النهوة) مدخولة ولا نلاحظ فيها الكفاءة وحدها وإنما هناك المنع عن
التزوج بمن تحبه لمجرد أن الناهي ابن عم، أو مائل.

والزواج عندهم جار على قانون الشرع، وعلى العقد الصحيح، بل
اختيار النسب هو المقبول المعتبر، وكل هذا لا يجعل ريباً في أن الأمومة
لا أصل لها وأصول الزواج المعروفة قديمة جداً، لا تفترق في أحكامها اليوم
عن ذلك (٢٤).

□ □ □

- ٦ -

مختارات من الشعر العامي

من شعر ابن حاتم

قال صالح بن حاتم الحربي من بني سالم:

كان المرد الشيب يا مبغضينه

فكاك قالات الرجا جيل شايب^(١)

ينطح حمالة وارتقاعة يمينه

والعمر قافية الفنا والنصايب^(٢)

شيب بلازمة دمار وغبينة

ويدخله بالكذب كثر الطلايب^(٣)

كم شيبة عزرة بنفس مهينة

باردى المذاهب والحيأ منه غايب^(٤)

وكم واحد يظهر ويفهق سنينه

والدين والدنيا نصيب ووهايب^(٥)

(١) الرد: القصد.. قالات: مشاكل وأعباء.. لأنه يحدث من المشاكل كثرة القول والتناجي.. الرجايل: الرجال.

(٢) ينطح: يتلقف.. حماله: ما يتحمله.. وارتقاعة يمينه: وترتفع يمينه.. قافيه مقتفيه.

(٣) غبينة: غبن.. كثر الطلايب: كثرة الخصومات.. سميت بذلك لأن المدعي كثير الطلب لخصمه في المحاكم.. وبلي ذلك كثرة الطلب للبينات واليمين.

(٤) عزرة: بغيضة كؤودة.. باردى المذاهب: يريدون بالمذهب الخلق والسمت... يقولون: فلان ردى المذهب.. أي الخلق.

(٥) يظهر: يخرج إلى الوجود.. يفهق: يؤخر.. والانفهاق السعة كما ورد في قافية الأعشى يمدح المخلق.. والتأخير مجاز من السعة.. سنينه: سني عمره.

اللي بلاه القل ربي عوينه
 يبريه من يبرى غميز الصوايب^(٦)
 وقال صالح بن حاتم الهليمة كما وجدت في كراسات الشيخ منديل:
 ياما على الجاهل يفوتن الافوات
 وياما على العاقل تصير البلاوي
 من لا يجي الدنيا بميز وحيلات
 يصير عقله والهبال متساوي
 راع الحساني ما يجازى بسات
 وراع الصخا حبله طويل رهاوي

□ □ □

(٦) اللي: الذي.. بلاه: داؤه.. القل: قلة ذات اليد. عوينه: معينه.. يبريه: يشفيه من الفقر من مادة برى.. غميز الصوايب: من في جسمه مغمز من الإصابات.
 قال أبو عبد الرحمن: رويت هذه القصيدة عن أبي محمد منديل الفهيد متع الله بحياته.

أبيات الجنوبي على قافية النون

وجدتها في كراساتي منسوبة لجري الجنوبي من أهل الخرمة
ولا أدري عمن رويتها:

يا أهل الركاب اللي مع الصبح مداد
بالله عليكم ريضوا واركبوني

لا عاد أنا بالشام وأهلي بالأنجاد

اياتكم يا أهل الركائب زبونى^(١)

واذكر لكم ماني شفيق على الزاد

ولا نيب عن رد الركائب مهون^(٢)

أيضاً ولاني للجماليات جحاد

أشكر ثناكم والعرب يسمعون



(١) أياتكم: أي منكم؟

زبوني: من يقبل لإركابي.

والزبون من يعامل التاجر والحانوتي ومن يسوم السلعة. وقد مضى شرح هذه الكلمة في أحد الأسفار.

(٢) مهون: صيغة مبالغة بمعنى كسول معرفة عن التهاون.

قصيدة البرازية على قافيتي اللام والنون بوصل الهاء من لحن المسحوب

سمعتها من الراوي فارس زيد كاملة ونشر معظمها ابن رداًس^(١).

وهي لمويضي البرازية تمدح شيخ البرزان حسيناً أبو^(٢) شويربات.

قلت مويضي:

يا راكب ملحا تبوج اشهب اللال	ايضا ولا فوقه رديف شحنها ^(٣)
ما فوقها الا الخرج ودويرع مال	وقريبة تو المسوي عدنها
اقطع لها من عادل السدر بعدال	واستدن له النايقة من شغنها ^(٤)
اول نهارك في تزويج بزرفال	وآخر نهاره طابير الريخ عنها ^(٥)
ملفاك بيت نايف كنه الجال	بيت الارامل والعجايز كهنها ^(٦)

(١) شاعرات من البادية ١٩٩/١ - ٢٠٠ وكنز من الماضي ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٢) يرد عندي مثل هذا الضبط كثيراً على سبيل الحكاية.

(٣) عند ابن رداًس: ولا معه. . محنها.

(٤) هذا البيت لم يرد عند ابن رداًس، وعند الأصقه: معدال. . واستدنها بالنايقة.

(٥) عند ابن رداًس:

اول نهاره بس مشي وزرفال وآخر نهاره نفض
وعند الأصقه: اول نهاره زميعي وذومال. . وتالي نهاره طير.

(٦) عند الأصقه: بيت لرميل العجايز.

عند ابن رداًس:

ملفاك بيت ربعتة كنها الجال وإذا لفيت فحط عنها رسنها

تلقاه ساعة تلفي العصر بالحال
تبشر على قبل التناشيد فنجال
قل كيف رجلك ياحمي كل مشوال
خيالكم يوم اشهب الملح ينجال
وان جانهار مثل يوم ابن هذال
يا ريف بيض تشتكي رقة الحال
ليا قام نجم سهيل يشعل بالاشعال
لعل شرك ينقسم بين الانذال
والى لفيت فحط عنها رسنها^(٧)
وحايل ثلاث سنين يندى صحنها
اليا طار عن جرد السبايا يقنها^(٨)
هذي يصوبها وهذي طعنها^(٩)
ت شهر شياهنيه وتجلد عدنها^(١٠)
حبالهن لبطونهن حزمها^(١١)
يوم الرحي ماعاد تسمع طحنها^(١٢)
واقول يا رب الملاعف عنها^(١٣)



(٧) عند الأصقه:

تلقى ساعة تلفي العصر فنجال
وحايل ثمان سنين يندى صحنها
(٨) قيل إن حيناً أصيب في معركة فقالت هذا البيت بهذه المناسبة.

(٩) لم يرد هذا البيت عند ابن رداً.

(١٠) عدنها: أرائها كناية عن الذل والجبن. وعند الأصقه: الى جانهار.. حرارها شهر
وتحمر عدنها.

(١١) لم يرد هذا البيت عند ابن رداً.

وعند الأصقه: ببطونهن.

(١٢) لم يرد هذا البيت عند ابن رداً، وعند الأصقه: إلى قام.. يسمع.

(١٣) عند ابن رداً:

عسى مرضها..

حتى تطيب ويذهب الشر عنها.

وعلى هذه الرواية يكون المقصود رجل ابو شوريات.

قصيدة شامان السهلي على قافية الدال

هو شامان بن مطلق من الظهران من السهول أصيب في المعركة فلما غادره جماعته تأسفوا فعادوا إليه من مكان بعيد وهم بالصمان لينقذوه أو يعلموا خبره فيخبروا أهله فوجدوا رجلاً حمله وعصب رجله فأخذوه منه وشكروه.

وساروا به على عمد البيت ووضعوها على هيئة سرير إلى أن أوصلوه إلى أهله.

فقال شامان بهذه المناسبة يثني على جماعة:

البارحة عيني تهنت منامها	ليل على عيني عساه يعود
ظنيت في ربي ولا خاب ظني	وجوا فوق ظني كاسبين الجود
ما منهم اللي كثر الهرج واعتذر	والكل منهم عقب المنقود
جونني على هجن من البعد ضمير	شيب محاقبها وفج عضود
جونني ورجلي توها بالجباير	والحال مبري سواة العود
وقالوا تريح واترك الهم والغشا	محمول فوق كتوفنا بركود ^(١)
وسووالي العمدان من فوق متونهم	وقالوا تريح ماعلينا كود
ما منهم اللي قال حفيت مناكبي	ولا ينهزع لو بان فيه لهود ^(٢)

(١) عند منديل: فوق امتاننا.

(٢) عند منديل: ثقلت منكبي.

ما فيهم الخايب ولا فيهم الردي
يا قلت ذا الطيب الى ذاك مثله
يتلون شيخ ماضيات فعوله
يتلون راعي الطايلات مناحي
يتلونه الظهران كسابة الثنا
ظهران يسقون العوادي من الكدر
ظهران عز الجار والضيف والخوي
اقول لي قول صحيح موكد
اقول قول الصدق ماهوب باطل
يستهلون الجود والمدح لابتى
ولا فيهم اللي هافي بجدود
كل من الطالة يريد الزود
ما هوب من شيل الحمول صدود
شيل حمل العرو والمشدود
فحول الرجال وبالحزام اسود
ويحمون لاقيل البرا مردود
يفرح بهم من باللقا مظهود
عليه ربي والعباد شهود^(٣)
مانيب نساي الجميل جحود
اعداد ماهبت هبوب النود^(٤)
قال أبو عبدالرحمن: سمعتها من إذاعة الكويت^(٥).



(٣) عند منديل: والرجال.

(٤) عند منديل: المجد والمدح.

(٥) ونشرها الشيخ منديل في كتابه ٢٥١/١ - ٢٥٢.

قصيدة ابن سالم على قافية الدال

هذه للأديب محمد بن عبدالعزيز بن سالم من أهل القرائن وهو ابن عم شيوخه عبدالله وعبدالرحمن ابني عبدالعزيز بن سالم من بني خالد رويتها عن والدهما رحمه الله في حدود عام ١٣٨٠هـ:

الفقير من العطا ما يغتني	لو عطي مال النصارى واليهود
كود من منشاء مغنيه الولي	رازق العميان واللي ما يفود
لايمي جعله عمى ما يقتدي	جعل ماله من عياله من يقود ^(١)
اصقه في السوق ما يوحى الحكى	والصواعق يوم حزن الرعود
اسم خلي في البحر تحت الجدي ^(٢)
دونه الشاذوب والما يحتدي	والسمك ينفاه مثل اللي يذود
احرف الخيال دلى ينتحي	في ظهرها ناشب بين البدود ^(٣)

والقصيدة أطول من هذا لم أجد من يرويه لي كاملة، إلا أنني سمعتها في الصغر أكثر من ذلك فسجلت ما عرفت منها صوتاً لها من الضياع.



(١) عمى: أعمى.

(٢) لم أحقق رواية الشطر الباقي. والشطر الأول رمز لاسم (حصة).

(٣) دلى: صار.

ميمية دشن العرجاني

سمعت بصوت حمد أبوشبيب السبيعي هذه القصيدة لدشن بن
حسن العرجاني اليامي :

يا الله يا اللي ما لنا غيره اله
منشي اللحم والجلد فوق العظام
الله عظيم الشأن من عقب منشاء
نشى القمر والشمس تجلا الظلام
الله واكبر ما خلق ربي افناه
وتفكروا يا اهل العقول الفهام
يا جب على المخلوق خوفه وتقواه
واطاعة الخلاق صلى وصام
صلى وصام وقام في طاعة الله
قامة نصوح منصح بالمقام
ياخذ كلام الله ويتلاه بقراه
في روضة المسجد خلاف الامام
مراعي دينه عسى الله يرعاه
ومعامل الحج في كل عام
مغرور يا اللي غره المال واطغاه
يمر دونه مثل مر الاحلام

وخسران يا اللي باع دينه بدنياه
 وقسمه من الدنيا طرف ثوب خام
 لا طاروع الشيطان فقداه ما جاء
 والى درى انه ضاع عظم الابهام
 ترى الكلام الصدق لا جاك تلقاه
 مثل الحديد اللي قضبه اللحم
 وترى الشعر ما يصلح الا بمعناه
 وترى الهدف ما يطرحه كل رامي
 ما قل دل وابا اذكر الله ولا انساه
 وعلى النبي مني صلاة وسلام
 وقال أبو عبد الرحمن: مستواها الفني ضعيف وإنما منهجي الاحتفاء
 بما لم ينشر من الشعر القديم فلعله يوجد فيه ما يفيد في الدراسات التاريخية
 والاجتماعية واللغوية.



بائية عمعوم بوصل الهاء، ورائية زوجته

سمعت بصوت الأخ إبراهيم اليوسف هذه القصيدة لعمعوم
العسكري من الدغمان من الرولة:
اسمع جواب اللي تقولون عمعوم
العسكري راعي العلوم العجيبة
اليوم انا من زايد الربع مسموم
الطيب سندا والمراجل صعيبة
اول مناتي ذبحة الكبش لسجوم
ونحط من فوق المناسف عصيبة
وثاني مناتي مهرة تسبق القوم
من فوقها ذود المعادي نجي به
وثالث مناتي عومة بالغضي عوم
وريم الخضير في ملاوي الدويبة
وطير بلا جناحان ما يدرك الحوم
واللي على رجليه ياويش طيبه
وقالت زوجته تخاطبه كما سمعت من الأستاذ إبراهيم
اليوسف:

عمعوم لا تشرب من التتن كرة
احذر ترى شربك من التتن يدمرك

عندك مجاهيم تقل لون حرة
وبيت كبير وضامر البطن ينحرك
ومهيرة بنت العبية نبره
ومثلشل عود البنزا على ظهرك
وخطو الضنا لوجاك ما به مسرة
اللي الى كبرت علايه وخرك
وان كان ربك ناوي لك مسرة
انزل عليك اسباب الاقدار واظهرك
وان كان ربك ناوي لك مضرة
لو كنت في عالي الشخايب حدرك

□ □ □

بين حضري وبدوي

قال أبو عبد الرحمن: حدثني أبو سليمان: عبد الله المشاري بمدينة بريدة صباح يوم الجمعة في ١٦/٢/١٣٩٧هـ مشافهة وإملاء فقال: إن شاعراً نبطياً من قبيلة عتيبة دخل مدينة عنيزة، وحضر مجلساً حافلاً، فقال:

الفضة اللي جالها بالبلد دنين هي وين هي يا من خبر جلابها؟!
قال ابن مشاري: يحتمل أن يكون هذا الشاعر العتيبي هو الشاعر المشهور بالغرمول.

ويحتمل أنه يرمز بالفضة في هذا البيت للشاعر المشهور: عبد الله الدويرج لأنه جاء يسأل عنه ليساجله.
وسكت الحاضرون لم يجابوه لأنهم في منزل صديقهم فلا يجابون إلا بإذن صاحب المنزل. هذه عادتهم.

فلما أذن لهم برز غلام بآخر المجلس، وقال:

عندك حضري يا اللي تمنى الغائبين جلابها يا اللي تعرف حسابها
فقال العتيبي:

حنا لكلش يا الغليم فاهمين لا شك شل رجلك قدم نشابها^(١)

(١) لكلش: لكل شيء... نشابها: نشوبها.

فقال الغلام:

أنت توعدنا وحنّا مرتكين

فقال العتيبي:

يا مال فرقا العين حضر طامعين

فقال الغلام:

ياردي عقل البدويا اللي حاضرين!

فقال العتيبي:

حنا عتية من قديم مجربين

فقال الغلام:

حنا هل الفيحا مفرقة الظنين

فقال العتيبي:

بليتني والله يعين الصابرين

فقال الغلام:

توعدني باللزق يا العير المتين

والبومة. الخرّسا قصر مخابها



قصيدة الحسيني على قافية الهاء

بنو حسن من قبائل الأردن، وعندما صدوا هجوماً لبني صخر قال شاعرهم^(١):

ألا يا راكب من فوق موجة	نسوم الريح لن خفت خطاها
عليها شداد من صنعة شراري	والخرج عقيلي زاهي في غواها
عليها غلام من تركة حمولة	في مشي الليل ما يهاب سراها
زها بها حب البعر المحلل	رضي الخال ما يدني عشاها ^(٢)
وفطت من جرش ثارت خريعة	على ياجوز وردن في دلاها ^(٣)
وردت في علم ها الحسينية	سموم الموت من ها اللي دناها
اللي منكم علتة ما برت	على أول صيف نسحن في خلاها
دواها المسلح باعداد الدن نشاما	وكم سابق نطفس غواها
وعيال الناس قاموا ع بعضهم	ولي الروح بيد اللي ولاها
وعيال الناس قاموا ع بعضهم	واللي له هوية ما ولاها
أم السماق تذكر سوق راوي	وجلبها جلاب رخصن مشتراها

(١) انظر المجتمع البدوي الأردني ص ١٣٧ - ١٣٩ مع مقتطفات من شرحه.

(٢) حب البعر: لعله التمر تشبيهاً ببعر الجمال، أولعله ما ينبت من تربة سادها البعر. ما يدني: لا يقرب.

(٣) فطت: نهضت. خريعة: خائفة كناية عن السرعة.

وجرش وياجوز موضعان في الأردن.

قصيدة مجيدع الربوض الشمرى على قافيتى الرء من لحن المسحوب

أغار مجيدع هو وثمانية من جماعته الشلقان سنة ١٣٠٧هـ على قبيلة الحويطات بالأردن فأخذ إبلهم فأدركهم طلب الحويطات على الخيل وبعد قتال شديد قبل الشلقان المنع على أرواحهم فقط .

وقد أصيب مجيدع بجرح خطير وبعد ممانعة شديدة من مجيدع لرفاقه أقنعهم بأنه مفارق الحياة لا محالة وأنهم حفاة راجلون في مهلكة فعليلهم أن يتركوه وينجوا بأنفسهم فلما انفلتوا عنه رأوا الطيور تحوم حوله عادوا إليه وحملوه على رغمه وظلوا يتعاقبون حمله خمسة عشر يوماً حتى أوصلوه مضارب قومه شمال نجد^(١) .

وبهذه المناسبة قال مجيدع :

البارحة عن لذة النوم سهار	بايسر صرغ لاجاه وبل الشخاتير ^(٢)
في سهلة مازان به نبت الاشجار	ولا قيل به غرز العشائر مخاضير
ولا عمر قالوا به هاك النجع دوار	ولا شيف به سود المباني مقاطير
عسى الى جا من اول الوسم مبدار	يخطي جنباه ما تجيه القواطير

(١) أورد القصيدة كاملة الأصفة في كتابه كنز من الماضي ص ١٥٦ - ١٥٩ والكمالي في الشعر عند البدو ص ٣١٨ - ٣٢٥ وعطار في الحويطات ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٢) عند الكمالي: بايمن صرغ .

ووقع عند عطار ثالث بيت هكذا:

ايمن صرغ لا جاء لعاج الامطار ولا جاء من نون الشريا شخاتير

والسيف ما يقطع بليا شوابير
لا صار ما باطرافهم شور ومشير
تعزل كمينه عن شذا القوم وتغير
هوش بقل ما يجي به مقاهير
والكثر تاكل به قصار المناقير
حمر وصفر وفاصلاته مغاتير^(٣)
شقح كما الحيطان برص المياخير
قب تفاوق روسها كالخنازير^(٤)
لأما جبرناهم على المنع تجبير^(٥)
تطابقوا بخشوم هدف المناظير
لجن عليه مخومات الدواوير
وحصل لهن من صافي الملح تشير
فزيت له بالليل واصبح معشير
اليوم يا مشكاي للرجل ما ادير^(٦)

حنا ربيع وشورنا بس مشوار
ومشيك ضعيف هو سبب جعف الاثار
لا صار ما انت لزايم الجمع قهار
ولا صار ما من طيب الاشوار تختار
والقل ما يدي حسيب الى ثار
حنا ثمان وكسبنا جل وبكار
جنباه ليلة رابع حث الاوبار
ولحقوا هل البل فوق عدلات الازوار
قبل بغونا طفحة قبل الافكار
حين التقينا لا الدعيجات حضار
كم واحد من ضربهم طاح ما ثار
وشمننا واقفوا مع الدو عبار
والعنك يا حظ ربض عقب ما ثار
من عقب ماني للمناعير سبار

(٣) عند العطار:

حمر وصفر غخالطات المغاتير

من ايسر الزملة الى ايمن الطار

(٤) عند الكمالي: روسهن.

(٥) عند الكمالي:

لكن جبرناهم على المنع تجبير

ربيع بغونا طمعة قبل الاشوار

وعند العطار مع خلل في الوزن:

وحنا نمنعهم على المنع تقدير

واخذونا بطفحة ما لها ثار

(٦) عند الكمالي مع خلل في الوزن:

قبل امس وانا للمناعير سبار

وعند العطار:

اليوم انا من مقدم الرجل ما ادير

من عقب ماني للربيع سبار

قلت ارشدوا حقي من الاخرة صار
قالوا علومك ما لها عندنا كار
اركب على الامتان عدك على حصار
ركبت فوق اثنين واثنين حضار
من يوم يوحوني من الشيل حضار
متكيف عدي على كور عبار
حفايا بالقيظ وجهيل وصغار
ودبقت لدم وجيههم كيف ما غار

انصوا اهلكم يا حماة المظاهير^(٧)
هي نيتك والا تقوله مصاخير^(٨)
اركب علينا اكفاك منا العواشير
وغدوالي اجواز تقل حطحطة ظير^(٩)
دلوا يهجرون الخطالي بتقصير^(١٠)
متمركي من فوق متون المناعير^(١١)
وش لون لوعقيلهم لي حواشير^(١٢)
تقل بدات للمصنع مساير^(١٣)

(٧) عند الكمالي: مع السلامة يا حماة المظاهير

(٨) عند الكمالي:

قالوا نشيك فوق الامتان بحصار
وعند العطار:

اركب على المتين كني على حصار
(٩) عند الكمالي:

اثنين لي حظاي واثنين حضار
(١٠) عند الكمالي:

والي اوجسوا افي من الشيل فتار
ويستقيم لو قال: بتقصير.

(١١) عند الكمالي:

خمة عشر ليلة وانا تقل بحصار
وعند عطار:

على المتن المتن صبار
(١٢) عند الكمالي: جهال.

(١٣) دبقت: أنعمت النظر. والعامة تقول: فلان دابق، وفلان يدبق لكل شيء إذا كان
ينعم النظر في كل شيء ولا يترفع عن الحقير من المتاع.

عند الكمالي مع خلل الوزن:

عجبت لدم وجيههم كيف ما غار
والمصنع هو المسرح.
كانهم بداءة للمصنع مساير

مع سهلة العوجا مطابق وديار
 ما يقطعه كود النضا تقل شنار
 خوالي اللي ما بهم صنع شبشار
 ومعهم هديب الشام نقال الاقطار
 واعرف الى جاد أول العش ما بار
 وأنا أحمد اللي زينه عقب ما صار

تبت حيل مهاوزات البواكير^(١٤)
 سباع تخطف فوق مثل الشنانير
 زمل التخوت مسهلات الحدادير^(١٥)
 زود على حمله يشيل القناطير^(١٦)
 لازم من التالي يجي له نوادير^(١٧)
 وضبه من الجمة على عالي البير^(١٨)



- (١٤) عند عطار مع خلل الوزن:
 يا دبري العوجا مسانيد واعجار
 ويستقيم لوقال: بحيل.
- (١٥) عند عطار:
 عقبه خوالي ما بهم صنع شبشار
- (١٦) عند الكمال: نقل حمل مادير.
 وعند عطار:
- (١٧) عند الكمال:
 معهم هديب الشام شبال الاقطار
- (١٨) عند الكمال:
 تراه الى جاد اول العش ما بار
- حدث ربي زينه وال الاقدار
 وعند عطار زيادة هذين البيتين:
 هيت يا حظي عقب ما ثار
 ويستقيم لوقال: على عقب.
 لجة حيارينه على فج الاسفار
- تت حيل مقادرات البواكير
 الحوادير
- ايضا نقل حمله على حمل مادير
- لازم ان التالي يجي به نوادير
- زفن من الجمة على ملفظ البير
- بيت بخشم الطار واصبح معشير
- ازرام مزن مفيظت حوادير

من شعر ابن قوفل بوصل الهاء

من عادة العرب إذا حصل الجذب وشحت الإبل بلبنها التجأ الفقراء
عند الأغنياء، وكان عند حمود بن قوفل رعتان والثالثة زمل فكان يذبح
كل يوم واحدة ويوزعها وذات مرة نسيت زوجته جارته لم تعطها فخف
حمود ليقسم نصيبه من اللحمه بينه وبينها بموس فنشب الموس في العصب
فجره بعنف فضرب الموس عينه فجرحها ففقد نور حبيبته وكان قد فقد
الأولى من الصغر.

ويقال إن الشيخ عبدالكريم الجرباء لما بلغه الخبر بكى، وقد أخبره
أحد اثنين وفدا عليه من جماعة ابن قوفل فقال الآخر إن ابن قوفل
عولجت عينه في المدينة المنورة فبرئ لأن ضربة الموس كانت في جفنه، وقد
كذب في هذا الخبر وإنما أراد التخفيف على عبدالكريم لما رأى شدة جزعه
فأعطاه فرساً، ولما عاد الوافدان اختلفا في الطريق لأن من أعطاه الجرباء
فرساً ادعى زميله أن له منها النصف وقال نحن زميلان وقد حملتك على
راحلتي.

فقال زميله: إنما أعطاني الجرباء الفرس وحدي.

قال: أنا أعلمت الجرباء بالحقيقة وأنت كذبت عليه.

فقال: كذبي أضحككم فجاد بالفرس، وكذبك بكاه.

وتداعوا عند العارفة فحكم بأن يعودوا للجرباء ويستفهموا منه، فلما
رجعوا للجرباء أخبرهما بأن الفرس لمن أعطي إياها وأعطى الآخر فرساً.

وقد قال حمود بن قوفيل هذه القصيدة بهذه المناسبة^(١):

قال ابن قوفيل والصلاة على النبي	لوعات بقعا كل حي يذوقه
من قال من لوعات بقعا انا سالم	ما طير بر سالم من وهوقه
قم يا نديبي شدلي فوق شيبا	شيبا وكن الشب يطلي شدوقه
اركب على كوره ودور لي دوا	لعين تعرض شذرة السيف موقه
يا عين من يحري ويذري ويلقى	ويدي من القوم الحماقا حقوقه
عشير صعلوك قليل زمايله	عدو عفن كثر البخل نوقه

وإنما بكى الجرباء لعلمه بكرم حمود وأنه أبوالأيتام والأرامل. ولما بلغته قصة الموس قال: عز الله ما حسنى وقت ساية!.

وسمعت من رضيعان هذه الأبيات لابن قوفيل يمدح آل شعلان^(٢) وكان قبل ذلك مجاوراً لهم:

اللي يكفون الشوارب بالايما

هبيت ياخط تنحيت عنهم^(٣)

اقفيت عن ربعي عيال ابن شعلان

اللي كما شل الروايا طعنهم^(٤)

ما يتتحون الا بعليا وعليان

وان حل ضرب مخلص جيد منهم^(٥)

(١) سمعت القصة والقصيدة من أبي عبيد رضا الشمري وكنت قبل ذلك أحسبها لشايح الأسح.

(٢) البيت زيادة من السديري.

(٣) ونشرها الأمير السديري رحمه الله في أبطال من الصحراء ١/٢٤٣ - ٢٤٤.

(٤) عند السديري: عن ربعك..

(٥) عند السديري: جيز منهم.

لباسة عند المظاهير شيلان	صديق عينك ما يطيح بحضنهم
نزل الخلا ماهم فراقين فقسان	ما سقسقوا للعنز تتبع ظعنهم ^(٦)
القلب ما ينسى طويلين الايمان	اللي يقززون العدو عن وطنهم
قطعانهم وان غربت تقل غزلان	وان شرقت مثل البرد هاك عنهم ^(٧)



(٦) سقس: نداء للبهيم من صغار الغنم. وعند السديري: سكران.
 (٧) عند السديري: شرقت في الشطر الأول وغربت في الشطر الثاني.

من شعر ابن نمر في رثاء زوجته

قال سلطان بن نمر من السحمة من قحطان يرثي زوجته^(١):

يا معمر الدنيا ترى الوقت غدار	خسران يامن باع دينه بدنياه
البارحة نومي هواجيس وافكار	الله لحد عزاه للقلب عزاه
لا غرد القمري على الدار يا ذعار	ركب اردعيه ضامري كل ما اوحاه ^(٢)
لج الضمير وهاض من بعض الاشعار	امراج من صدري تقارع من اقصاه
وقتي سقى سلطان من كاس الامرار	واحر قلب اونس الحب حراه
ابكي من الوجلى على قد ما صار	مفجوع منصاع من الحزن وبلاه
اونس بجاشي كوكب توما فار	مثل القدر يطفر على النار تنصاه
سار القلم باللي جرى بالقدر سار	واستحكمت اقدار يا طول هجره
من ونتي يبست زماليق الاشجار	يا ناس من مثلي صبور بما جاه
والعين كن بها براعيق زنجار	يحرم علي النوم ما قلت ما احلاه

(١) أظني سمعتها من الشيخ منديل من برنامجه الإذاعي وفي الشوارد ص ٧٧ نشر منها ابن خيس البيت الأول فقط.

(٢) ركب أردعيه: ركب ردعه: أي لم يردعه شيء فيمنعه.

وأصل مجاز الفصحاء هنا أن الردع الزعفران وقد شبه به الدم لحرته فإذا خر القليل لوجهه على دمه قيل ركب ردعه ثم توسعوا في كل من يجر ثم ينهض ثم يجر وينهض وإن لم يمت ثم توسعوا في كل من يغالب ما يردعه. قال نعيم بن الحارث السعدي:

الست أرد القرن يركب ردعه وفيه سنان ذو غرارين نائس
وربما كان المجاز أقرب من ذلك، وهو أن يتجاوز الروادع كمن ركبها وأذلها.

من ونة ونيتها وقت الاسحار
او ونة اللي له زمانين به زار
او ونة اللي خاض غبات الابحار
قالوا لي اصبر قلت للصبر مقدار
ابكي وليف حط بالقبر ابو غار
يا قبر جبتك في دجى الليل خطار
قالوا لي العذال لا صار ما صار
انا ليا دورت في كل الاقطار
ما القى مثيله بالمغارب والامصار
عدم الوصايف هو وصيفه وحلياه
مرحوم يا اللي ما بعد حس له جار
الله يلم بشلنا لم الابرار
الحب يا الاجواد ما فيه بيزار
خلوني افيض من الصدر معيار
ما احد من الدنيا سليم من الاخطار

ونة فطيم جاير الحرب يبراه
جاه الطيب ولا عرف غاية دواه
زادت عليه الريح والموج غباه
طال الطويل وباقي الصبر ما اقواه
عزى لعين ما تهنت بلا ماه
با اشوف من خطوا وسادة زواياه
دور وتلقى بالعرب كنه اياه
يا وين ابا القى مثل وصفه وحلياه
ما ظنتي حسنه على الوصف نلقاه
ليله مضى خمسة وعشرين مبداه
الله يلم بشلنا عقب فرقاه
في ظل سدر المنتهى عل نلقاه
وكل على قده شكى من رزاياه
الله لحد عزاه للقلب عزاه
خسران يا من باع دينه بدنياه



سبينة عواد الويري

قال عواد الويري من العفاريت من شمر يخاطب متعب بن
عبدالله بن رشيد^(١) مسترضياً له بعد غضبه على جماعته:

الله يعينك يا موالف عطية	كيف انت يا شيخ كسبت النواميس
ويا شيخ ترها عزوة الشمرية	ويا شيخ ترهم زويع والسناعيس
اهل اللحية كانها بالحمية	واولاد علي مخضبين المتاريس ^(٢)
لا ضكهم مضنك خطاة الشكية	بمسكفات من الرماح المناسيس
وييدك شامان مثل الحنية	وحلواصطفاقك في وجيه الملايس



(١) عشائر العراق ١/ ١١٧٢.

(٢) ظن العزاوي أن اللحية اسم لقبيلة شمر والواقع أنها لقب حصل للجرباء إذ برك ناقة
في الصحن ودفنها بالرز ودفن معها عكاك السمن ثم ضربها بالرمح وقال: ارحبوا على
اللحية!

واللحية شيء قليل للمذاق لا للشبع فوصف أصحاب الشمال بأصحاب
اللحية.

ومن كلام العامة: فلان شمالي.

كناية عن الجزالة وتبالة الكرماء.

وقد حضر مائدة الجرباء قروي من حاضرة نجد فقال: جعله ما يلحسك الشر،
ما ذيب لحية [ما هذه بلحية] هذي قوت عمر!

مناظرة كنعان الطيار للصياد وكلاهما من عنزة

تباحث الاثنان في أطايب الحياة وملذاتها ففضل الصياد الإغارة إذا نتج عنها غنيمة الركاب يقسمها العقيد خريزة وعائد إلى آخر مصطلحاتهم .

أما كنعان فيرى أن الغنيمة من الملذات إلا أن المخاطر والمخاوف وراء ذلك، ويرى أن ألد شيء أن يكون الإنسان في أيام ربيع وأن يكون مكفياً من الهموم وأن يكون له جار ذو دلال ونجر يعود فيزوره في الليل ويسمر عنده ويتبادلان الأشعار والأخبار، فإذا بقي في الليل نصفه أو ثلثه ذهب إلى فراشه تنتظره زوجة حسناء، وفي الصبح يزور آخر وفي الظهر يزور ثالث وهكذا.

فلما حصل بينهما الخلاف ذهبا إلى عارفة من عوارف البادية يسمى ضريغطاً ليحكم بينهما.

فقال الصياد:

لا يا ضريغط وانا اسيلك بالله	حيثك صدوق بحجة تبلى به
حيثك غلام ما تعد الا الصدق	ابدا علوم الكذب ما تشفى به
ايا البنات العطر وايات النضا	اللي تجيب من الخلا ركابه
حيل يقطعن الفيافي ضمير	وكل توردد لو وقى ميدابه

وقال كنعان:

لا يا ضريغط وانا اسيلك بالله	الكل منا عانى بطلابه
------------------------------	----------------------

حيثك غلام ما تعد الا الصدق
ايا البنات العطر بايام الرخا
ارقاب المها منومات السهر
ايات سكن ما تباطا نومك
والا الركاب متيهات بالخلا
هن اللي يجيبن الفهمارجال مثلکم
واطلب من الله حجتي مقبولة
وفي رواية: ينصك بابه .

وقد حکم الضريغط لکنعان .

قال أبو عبدالرحمن : الراوي رضا الشمري .



قصيدة الأحيمر على قافيتي الفاء والنون من لحن المسحوب

رواها سعود بن زبن المطيري لطالع الأحيمر من الصعبة من مطير
وكان مريضاً في كهف جبل فطلب منه ابن أخيه عبيد أن يخرج من الكهف
ليبرد في فيء الجبل .

قال له : هايف . أي اخرج إلى حيث البراد والهواء ، فقال طالع :

قالوا تهايف قلت ما نيب مهايف	يهاف اللي فوق زلمات الاقران
يا عبيديا ابن اخوي ويش انت شايف	ان كان مت وقربوا مني اكفان
انت تقدي موميات السفايف	والا تجنب درب ذرفين الايمان
ان جاهم السابر من الرجم شايف	تحزموا فوق المحازم بشيلان
وتحاولوا من دون حم الشعاف	وتعاقبوا من دونهنه بالاكوان
احد كسب نوماس واحد مسايف	واحد رمي للطير الابرق وسرحان
وليلة لفينا عند اهلنا نكايف	ويعلمون بما فعلنا وبما كان
كم عيطموس كبت الشوق عايف	تبي من اللي جالهم فعل واكوان



من شعر سعدون العواجي

قال سعدون يرثي ابنه عقاباً من لحن المسحوب.

أورد منها السديري رحمه الله عدة أبيات وسمعتها كاملة برواية رضا الشمري^(١):

البارحة عدي عناني صعانين	غضبان بالي ما تهنيت بمراح ^(٢)
على شجاع طاح والربع عجلين	يفدي بعمره يوم غولات الارواح ^(٣)
صكوا عليه اللي على الموت جسرين	لا وا بعيني ما يجاجون ذباح ^(٤)
تسمع بتالي الخيل حس المثارين	عيال الطنايا مروية علط الارماح ^(٥)
انا بلايه ياملا خابر شين	تظهر علينا مسملات اليا راح ^(٦)
اللي يكف الخيل كف البعارين	ويرخص بروحه يوم يغلون الارواح
خيالنا لا طار ستر المزاين	ويرعى بظله بالخطر كل مصلاح ^(٧)
كبد نعالجها بعوج الغلاوين	وروايع ما تودع البال ينساح ^(٨)

(١) أبطال من الصحراء ٩٤/١ - ٩٥.

(٢) رواية السديري:

البارحة نومي بروس الصعانين طوال ليلى ما تهنيت بمراح

(٣) هذا البيت زيادة من رضا.

(٤) رواية السديري: حالوا عليه.

(٥) هذا البيت زيادة من رضا.

(٦) رواية السديري: بلالي والله.. مرسات إلى.

(٧) رواية السديري: خيالنا يوم اكتراب الميازين.

(٨) رواية السديري: ما تودع القلب.

وقال الشيخ سعدون العواجي في ولد ولده والراوي الشيخ منديل
عن حماد شيخ المناقرة من بلي:

فانت ثمان سنين والشار غادي	مواكرك يا عقاب عقبانها صغار
عضود فرحك ما تجيد الهداد	سنه صغير ولا تمكن من الثار
واليوم يروي مرهفات الهنادي	والخيل من فعله هزائم وعبار
يا عقاب دونك هابس جاك بادي	ثم انشده يا عقاب كيف الخبر صار
فرخ العقاب اللي رمى به وكاد	خلا شتات الريش شتان وبذار
حر قنص حر بشاره وصاد	ليث على خيل المعادين كرار
الى عثى بمشمرات الجواد	يا عقاب مثلك لاحمر الدم نثار
ترك صبي ما بشاره يفادي	والخوف ما طول قصيرات الاعمار

□ □ □

قصيدة حجر ف الذويسي على قافية اللام بوصل الهاء

سمعتها كاملة برواية أبي عمران :

يقول ابن عياد ومن بات ليلة ما نيب مسكين همومه تشايله^(١)
انا ليا ضاقت عليه تفرجت يرزقني اللي ما تعدد فضايله^(٢)
يرزقني رزاق الهوايش بجحرها لا خايلت برق ولا هيب حايلة^(٣)
وذكر ابن خيس هذا البيت :

ما دورت الاسعار في كل قرية ولا وردت على قراح ثمايله
ورزق غيري ياملا ما ينولني ورزقي يجي ولا كل حي يحايله^(٤)

(١) تشايله : تندافع وتزدحم .

وسمعت من منديل : تكايله . . وان بات ليلة .

(٢) سمعت من منديل : ما تنحصى .

(٣) الهوايش : البهائم . وفي الفصحى : الهوشات بضم الهاء : الجماعات من الناس والإبل ،
وسمعت من منديل : بجحورها .

حايلة : محتالة . وعند ابن خيس : رزاق الحيايا . . ولا هي بخايلة .

(٤) سمعت روايتها هكذا : (ترى رزق غيري) ، فعدلته لأجل الوزن . وعند ابن خيس
ومنديل : ترى رزق غيري . . لو كل حي . إلا أن الشطر الأخير غتل الوزن على هذه
الرواية .

نشر ابن خيس منها ثلاثة أبيات في الشوارد ١٤٧/٣ ونشر منها الشيخ منديل
تسعة أبيات في كتابه من آدابنا الشعبية ١٨٩/١ - ١٩٠ وتابعه الصقري في كتابه من
نواذر الأشعار ص ٨٢ وص ١٦٦ .

وجميع ما حشنا ندور به الثنا ما راح عنا عاظنا الله بدايله
 نوب نحوش الفود من ديرة العدا ونحذي اللي ذاهبات عدايله^(٥)
 كسب بالايدي ما دفعنا به الثمن الا الدمى بمطارد الخيل سايله^(٦)
 من لابة فرسان ننطح به العدا كم طامع جانا غنمنا زمايله
 نكسب بهم عز ونزل بهم خطر ولا هيب من قفر رعينا مسايله
 وقصة القصيدة التي ذكرها منديل متواترة عند الرواة ويظهر لي أن
 القصة مستنتجة من القصيدة وليست باعثاً حقيقياً لها، لأن عادة الرواة
 استنتاج القصص من الأشعار ثم يصوغونها بعناصر خيالية.

□ □ □

(٥) عند منديل: ونخزر اللي.

(٦) سمعت الرواية: ثمنه الدمى. وعند منديل: خز بالأيدي.. ثمنها الدمى.

عينية ابن شعلان بوصل الهاء

قال عبدالعزيز بن عثمان بن شعلان وهو مقيم في الكويت يخاطب أخاه إبراهيم بالقصب من قرى الوشم^(١):

يا الله يا جابر حقير ورافعه	يا عالم بالحال والصوت سامعه
تفرج لمن كن الملايل تمله	يا من له الرحمة على الكل واسعه
قال الذي في راس رجم بدا به	يا ليتني ما اشرفت عالي مرامعه
قال الذي سده من الصدر بيع	كن الضواري للفواد متمازعة ^(٢)
قال الذي لو صد يوم تذكر	تذكر الماضي وهلت مدامعه
قال الذي ما قال قول تعجب	مودة الخلان بالجوف لاسعة
قال الذي بالجيل توه عليمي	ما دك في باله لسانه مطاوعه
طاري طرى للقلب هيض فنونه	واظن تتبعه الجوارح تفازعه ^(٣)
يهيض منه القيل يسعى لكنه	تهامية بالشرق والشمس طالعة
باب الصدر مفتاح قفله تبطل	ابا امنعه وازريت ماني بمانعة
يا عاذلي هون عن الشور واعذر	لو قلت شورك لي فلاني بطايعه
هات القلم واحضر مع الحبر دفتر	لا ديب في كتب الصحايف يشاجعه

(١) التحفة الرشيدية ١٢٠/٢ - ١٢٨ ولم أر أحداً ذكرها غير صاحب التحفة.

(٢) متمازعة: كل منها يمزع قطعة، والمزج بمعنى التقطيع والتمزيق - فصيحة.

(٣) تفازعه: تفرع له بمعنى تساعده. أصل الفزع في الفصحى بمعنى الخوف، ثم كني به عن خروج الناس سراعاً لرد العدو وخوفاً من مباغتته، ثم توسعت به العامة في عموم المساعدة.

ابدي عليك اسرار ما كان خافي من قارب الاجواد حصل مطامعه
 وخلاف ذا يا راكب هيزعية ما زوعت من فوقها الغرب نازعة^(٤)
 ترعى بوسط الذود في كل روضة لينه زمی زين الشحم فوق راجعة^(٥)
 ركابها ما سار بالليل خايف تتليه فرسان على البعد ناقعة^(٦)
 طويلة العضدين بتر فخوذها رفيعة الحجيان والنحر هازعة
 كن الزغون اللي يتنهض نحرها كمراة مصباح لسواريه ناسعة^(٧)
 الذيل راس العندل اللي تعمله في مخمر الاطياب والسمن مارعه^(٨)

(٤) هيزعية: ناقة سريعة الجري، وفي الفصحى: اهتزع اهتزاعاً بمعنى أسرع.

وقال ابن دريد: تهزعت الإبل في سيرها: اهتزت.

زوعت: انقادت مع من يزوعها.

وفي الفصحى: زاع البعير يزوعه: حركه بزمامه إلى قدام ليزيد في السير.

نازعة: ترفع الغرب ليصب إذا بلغت نهاية المنحاة.

(٥) لينه: إلى أن.. راجعة: عادت لها صحتها وسمت. تقول العامة: أرجع الحلال،

ويقولون عن نبات الولي والصف: زمان الرجعان، ويقولون للربيع بعد سنين من

الجدب: أرجعت الأرض وسنين الرجعان.

وفي الفصحى: أرجعت الإبل: إذا هزلت ثم سمت.

(٦) ناقعة: ساطع غبارها وهو النقع.

(٧) أتوقع أن الصحة هكذا:

كن الزغون اليا تنهض نحرها.

والزغون: ما تحت الإبط وهو صفحة الزور.. ناسعة: بارزة.

والناسع عند العوام البارزة، وهو معنى صحيح على التشبيه فقد قال ابن فارس:

والناسع العنق الطويل.

ومن خرج خفية تقول عنه العوام: نسع.

وفي الفصحى: نسع في الأرض إذا ذهب.

(٨) عندل: قال ابن الأعرابي: العندلة ضخمة الثديين.

قال أبو عبد الرحمن: والطول من معنى عندل.

إلا أن العامة تعارفوا على تسمية الفتاة الجميلة عندلاً.

مارعة: كأنها شعر مدهون مرجل.. ومرع شعره بمعنى رجله.

نطوي مسير اليوم مقدار ساعة
خفوفها صفق المرو من وراها
من دار أبو جابر تيسر ضحاها
تلقي هل التوحيد في نجد كلهم
تنصى القصب لعل دربه سماح
عساه يسقيه الحيا كل وسمي
اليا ارزمت وامطر من الوسم بدري
اليا اسكب حنيه كنه الذود لا ارزم
تلقي مظنة خاطري في مكانه
إبراهيم بن عثمان من آل مشعل
راعي دلال كنها في وجارها

فج المناحر والعضود متراجعة
حالب مزن عاصف الريح صايحه
والصبح باكر من ورا طريق فايحه^(٩)
اللي لهم بيض الكبابيس طايعة^(١٠)
محلهم في ضامري في مفارعه
والصيف مايفخت روايح هوامعه^(١١)
يكشف سنا ذي في علا ذي لوامعه
ابكار تزرم بالحنين متتابعة
خصه على غير الردى مع سبابعة
خل المطية تدفع البيت دارعة^(١٢)
سباري صفت على الحوض شارة

(٩) فايعة : تفاجيء بطلوعها.

وهذا مأخوذ من فوعة النهار والشباب بمعنى أولهما لأن مقدم القادم أول ما يرى منه، وإما من فوعة الطيب بمعنى رائحته، لأن قادماً فيهم برائحته فتوسعوا وجعلوا كل قدوم فوعة، وإما لأن أول كل شيء بداية تجده، وكل تجدد تسميه العامة فوعة.

(١٠) كبابيس : جمع كبوس وهو ما يلبسه الإفرنج على رؤوسهم (برنيطة).

(١١) ما يفخت : لا يند ولا يتخلف بل يصيب المراد.

ومن معاني الفخت في الفصحى الثقب.

ووجه المجاز أن سبب الإنسان كأنه سقط من ثقب إذ لم يصب المراد.

(١٢) دارعة : لا شيء يردھا.

والأصل في درع قص القفل ثم توسعوا به في كسر الحجز واستباحة الحمى فقال الفصحاء :

روضة مدرعة : أي أكل ما حولها.

وقول العامة (ثور أدرع) إما تعميم للأدرع وهو سواد الرأس وبياض سائر الجسم، وإما بمعنى أنه يكسر الحجز وهذا هو الأرجح.

يبرى لها الغوري على كل شبة
والنجر يزهم للمسير عويله
وان قلط المحماس يشكي مليله
هذي بوسط النجر وهذي تلقم
وختام ها المجلس من العود جزلة
ما صك باباه والليالي عسيرة
ما حوشت يمناه ما تاجرت به
حر اليا جاب العشا في مخالبه

والتمر منقوله اليا كف قاده(١٣)
برومية ترفع له الصوت قارعة
في دار جاله للمساير واسعة
وهذي تصب وذيك مركاة رابعة
دخانها يقعد صفا راس ناشعة(١٤)
يوم ان ولد اللاش يظهر لعاهه(١٥)
يرميه لوجيه الأكارم مواده
يغشاه من خمر النشامى مصارعه(١٦)

(١٣) الغوري: الإبريق يصنع فيه الشاي.

وهي فارسية وتنطق (قوري) انظر المعجم الذهبي ص ٤٢٠.
منقوله: الشاي عوض عن التمر إذا كف الأكل ينقل مهمته.
قاده: آكله.. والقدوع التمر، وأكل التمر خاصة يسمى قدعاً هذا عند
العامة، وفي الفصحى بمعنى المنع. قال صلى الله عليه وسلم: اقدعوا هذه الأنفس
فإنها طلعة.

فلعل وجه المجاز أن أكل التمر يمنع من الجوع إذا لم يوجد غير الأسودين.
(١٤) صفا: ميل كناية عن آلام الرأس التي يتولد عنها العوس وضيق الصدر والقلق.
والإصغاء بمعنى الاستمتاع مأخوذ من ميل الرجل بأذنه.
ناشعة: بحاجة إلى نشوع وهو أن يوجره الدواء كناية عن الألم.
ها المجلس: هذا المجلس.

(١٥) لعاهه: اللعاع القليل التافه. فصيحة بالمجاز فاللعاع في الفصحى نبت ناعم وقد
وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا بأنها لعاهه، لأنها كالنبات الأخضر قليل
البقاء. ولعاعة الإناء ما بقي فيه وهو قليل.

(١٦) جاب العشا: ربما التمس بعضهم المعنى من مادة (جاب).
قال أبو عبد الرحمن: الصواب ان الأصل: جاء بالعشاء، ولكن العامة اعتادت
على ربط باء الالتصاق بالفعل وفصلها عن معمولها.

كما اعتادوا ربطها بما قبلها وفصلها عن معمولها كما في قولهم: ما هوب صحيح:
أي ما هو بصحيح.

ويقولون: مهوب هو: أي ما هو بهو.

افهم وصاتي لك من الراس قل له
 قل له سلامي عد رمل الزباير
 سلام أحلى من حليب مشير
 ان سايلك عني بحال تسره
 عشنا بخير وعن قريب نزوره
 لا عاد مالي بالبحر ضمن عيلة
 ولا عرض للرجل قيد يشده
 وأنوي المظهر بأول جمادى
 خط لفاني يشرح الصدر شوفه
 عرفت مضمونه على أول حروفه
 يا مرحبا عد ماناض بارق
 يوم علينا مثل عيد رمضان
 هيض غرامي واتبع القول حنة
 ذكر غريب داله عن دياره

جزل السلام وسمع اللي يرابعه^(١٧)
 أو عد ما تذري الهوا من ذعاده
 واخن من العنبر على أول مناوعه^(١٨)
 الحال عدلة والأمور متراجعة^(١٩)
 لا يستهم وخيرة الرجل ناجعة^(٢٠)
 ولا غروس بالنضيد متهانعة^(٢١)
 ولا علي من الموانيع مانعة
 في شاية الله ماشيات شرايعه
 لكن كتابه من قبالي وأطالعه
 ملح اللسان اليا تلفظ نزايعة
 وعد ماهلت سحايب هوامعه
 والا بشمس غب الأمطار طالعة
 حنة خلوج فاتت الذود ضايعة
 بين الرجا والياس ضيع روابعه^(٢٢)

(١٧) يرابعه: يجلس معه في مرتبته، أو يتبادل معه الرأي لأن العامة تسمي الأفكار روابع.

(١٨) مشير: محلى بالسكر. وهي فارسية.

انظر المعجم الذهبى ص ٣٨٦ ومعجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات

ص ٣٣٨.

(١٩) متراجعة: متفقة معتدلة.

(٢٠) لا يستهم: لا يحمل هما. ناجعة: متبعة أراد الرجوع إلى بلده.

(٢١) متهانعة: متطامنة: وهنك وكنع بمعنى طائفاً. المعنى فصيح.

(٢٢) داله: سالي. وفي الفصح: ذهاب الفؤاد من هم ونحوه وذهاب العقل أو سهوه من عشق ونحوه.

قال أبو عبد الرحمن: سلو العاشق سهو عن دواعي العشق.

فهذا وجه إطلاق الدلو على السلو والضنى معاً وهما ضدان.

والقلب فيها جمرة النار والعة
كن المداوي بأزرق التوت لاذعة
اغضي عن الحساد وامحش لوامعه
كان اتمنى مير ما هي بنافعة
اترك كثير الهرج واترك متابعه (٢٣)
الجود يبدي لي وعييت اطاوعه
ياكود ما يقطع هوى جم أصابعه
يحظى بعلم غالي في مبايعه
عيا علي وقلت ماني بقاطعه
وهني من لا داس بالعمر داسعة (٢٤)
وهني من نفسه على الحق قانعة
وهني خدش ما يميز مساطعه (٢٥)
وهمه محاحيل على البير ساجعة
وهني من هو ما تعدى مرابعه
وهني من نفسه من القيل وانعه (٢٦)

طال الفراق وطال فرقا ربوعي
والعين ياما صابها في نظيرها
نهل دمع الخد حذفه
لو من تمنى قبل حوش التجارة
القول ما ينفع ولو طال عذري
حظي ردي في جميع المعاني
العاذل اللي يقبل العذر مني
من هان نفسه فاز واستر وافلح
الطبع عضو لو بغيت تبدله
وهني من عقله ثقیل المراز
وهني من عمره طويل ولا اذنب
وهني من قلبه من الهم خالي
وهني عمال يسوق السواني
وهني من لا ذاق بالعمر حاجة
وهني من بالبيت قد حج واحرم

(٢٣) متابعة: ما يتبعه الانتقاد، أو عوار الكلام الذي يتبع فضوله.

(٢٤) ثقیل المراز: إذا جرب وجد راجح العقل رزينا.

والروز في الفصحى بمعنى التجربة.

ومن ذلك رفع الشيء لتقدير وزنه، فهذه تجربة.

داسعة: فعله رديئة. لها مجاز قريب من الفصحى.

(٢٥) خدش: كبير الجسم قليل العقل أو ضعيف الطموح لا يعتربه هم.

ولعل وجه المجاز: أن من هذه صفته لا يصلح إلا للمخادشة وهي الخمش

بالأظافر.

(٢٦) وانه: مقلدة من الكلام.

قال ابن دريد: الونع محرقة لغة يمانية يشار بها إلى الشيء اليسير.

واحب يوم بالوطن في كسافة
 واحب قربي عند الأجواد ساعة
 واحب يوم العيد ينساح بالي
 واحب يوم ما تكدر جنابي
 واحب يوم مقلط لي كرامة
 واحب يوم حايث لي غنيمة
 واحب يوم ما تكلم لساني
 واحب يوم به تزيد حسناي
 واحب يوم فات مني عطية
 واحب فصل الحق لو هو عليه
 واحب شيخ عادل بالريعة
 واحب يوم والصادق بمعزة
 واحب يوم والعدا في مذلة
 وإلا عدو الدين جعله يدمر
 ليت الأجل يرجع على زود مكسب
 ليت الفقر عني ورا سدير يرحل
 ليت الليالي الماضية ما تعدت
 ليت الذي حدر الثرى ما جفوني
 ولا حذافير الذهب في مشاعره
 ولا ثمان سنين عند الملاطعة^(٢٧)
 يغشى السلام وفرحتي في توابعه
 ولا رأت عيني من الناس كالع^(٢٨)
 واحب يوم السيل والزرع زارعه
 واحب يوم ما وطيني مباشعه
 واحب يوم فات والنفس وارهة
 وتطيح سيات على الظهر خالعة
 على ضعيف دعوة منه رافعة
 في مجلس كثرت شكايي بعابه
 مثل أبو تركي كل عز يسانه^(٢٩)
 مستأنس بالعز حاله مرايعه
 وأشوف سيف مع ثناده خارعه
 عساه يذهب فانيات صنايعه
 وليت الكبر ينسى ويخلف مهاله
 وليت الغنى في لبة القلب ناشعة
 وليت الليالي الحاضرات متواضعة
 ليت الذي فوق الثرى في طواله

(٢٧) الملاطعة: كناية عن طول اللسان وكثرة الكلام.

والطلع في الفصحى بمعنى اللبس.

(٢٨) كالع: كالحة وإنما اضطرت القافية.

وللكلع معان في الفصحى ولكنني لا أعرف العامة استعملت هذه المادة.

(٢٩) يسانه: يتهاى له. وانظر مقدمتي لديوان ابن صقيه ٣٧/٢.

ابيحهم واحتاج منهم الباحة
الوالد اللي مات ما غاظ بالي
يا ليت هو حي وأنا أوفي ديونه
شخص غدا ما حاصل لي بداله
ودعته اللي يعلم الحال مني
مراحل ترحل والأجيال تدني
دنيا تربى الصعب يا كثير شرها
أحد عليه الشيل خطر يضره
كل يجازى بالوفا من عماله
يا ويل من فاته شبابه بجهله
يا سامع مني ردود النصايح
الأولة من جور بقعا تحذر
ابذر ما دام البذر ما فات حله
لا صار كل قام يقطف ثماره
صل الفرائض كلها في حلولها
مد اليدين يجوف ليل خلاوي
من وقف عند الباب وأعلى بصوته
منك الدعا والله سريع الاجابة
من خير ومن شر على الله تشتكي

واللي على مضمون بالي أراجعه
يروف بي والموت نزع ينزعه
ويا ليت من هو باليماني يبايعه
ودعته اللي ما يضيع وداعه
لعل رحمة عامر الكون جامع
والقلب في عمياه والموت فاجعه
والا حمول العالمين متوازعة
صير صلبات العظام متفارقة
وأظن ما نفس لنفس بشافعة
لو تحته الأنهار تجري منابعه
لعلها للكل والكل باضعة^(٣٠)
اخشع لمن له هل الإسلام خاشعة
من فوته وقته تفوته نوابعه
عليه هم الغم حزنه يصاوعه
منك السؤال ورحمة الله واسعة
في جنح ليل وجملة الناس هاجعة
صير راعي الباب عجل مساره
واللي كتب باللوح ما انتة بمانعة
شكوى النبي ذا النون والحوت بالعه

(٣٠) باضعة: بالغة ذات أثر.

يقال: ما يبيض فيه العلم. أي لا يؤثر فيه القول والنصيحة.
ولعل ذلك مأخوذ من المبضع لأنه يلتصق به أثر العافية.

والموت لا بد له ولو طال عمره
ما باقي شيخ على شان علمه
ولا تاجر يفدي عن الحال بماله
لو كان دفع المال للحال يفدي
الزراع لي سنبل يقرب حصاده
الثانية احذر من الهرج كله
واحذر من مدح الوجه والسب تالي
واحذر عن الغافل ولو باح سده
وان حل طاري مبتلى لا تلومه
لا تبحث الغرات من غير موجب
خل الجحور الدارسة للذواري
اصفح عن الغافل تشوف الجمالة
من جت له الدنيا على ما يريد
يبي قصور الحرب لو هو فدامة
واليا تعدت عنه تقصر خطاها
عض الأنامل بالنواجد حسوفة
فجعة غريب مذهب له ذهية
من ذاق لوعات الفقر ما نساها
لو يفتني تلقى الفقر في فواده

لا بد من يوم تمرمر مجارعه^(٣١)
ولا حاكم كل القبائل تفازعه
ولا هبيل غافل عن زعازعه
كان النبي يفدي بكل المطاوعة
يابس ولو قطر المطر ما يقاطعه
الا بذكر الله وما قال تابعه
من خادع المسلم ترى الله يخادعه
اما شنع الله ما انت بشانعه
يبلاك مثله يوم يشكي مواجعه
تجرح عليل باريات مواجعه
أوعرضه من ناعم الرمل كاسعة^(٣٢)
ولا تلقي الطامعين المناضعة^(٣٣)
أصبح رخي البال تخشى وقايه
واليا سمع للحرب رزرز مسامعه
كنه يحبس الروم والشر دارعه
يا فجعة فجعت على الثدي راضعة
لو نام حلو النوم عيا بجامعه
ما تمنحي من لب قلبه لوايعه
لا يذهل المصفوع من كان صافعه

(٣١) تمرمر مجارعه: تتجرع مره.

(٣٢) كاسعة: الكسع رمي التراب في الوجه.

لها مجاز قريب من الفصحى، ومن معاني الكسع في الفصحى: القفد.

(٣٣) المناضعة: لا أعلم لها معنى لا في الفصحى ولا في العامية.

والثالثة صر للصديق متواضع
ولا تعرض للسفينة بجهالة
وان جذ حبلك لا تسوي سواته
اليا بذر لك شر فابذر بخيرك
وان مد حبله طالب منك حاجة
غم الحساد وفي عدوك تهينه
من قدم الجودى قطف من ثمارها
أقول ذا وأنا عن الجود عاجز
وأسمع من اللي ينطحون الموابج
بين الأكارم والأراذل مسافة
والرابعة خذ للعدو حد هندي
ترى عدوك لو ضحك لك بسنه
من داس رجلك فوت دوس راسه
ان حذفوك عداك بأكبر حصاهم
وان ضربوك عداك بأضعف جريدة
واليا رموك عداك بكيال موزر
ان حفروا عداك خطو الهيبة

ترى التكبر كالشجر في مشالعه^(٣٤)
تخسر جزاك وخاسر من يفازعه
أوصيك عن ممشاه واحذر ترابعه
كل يحصل ما بذر من مزارعه
عزه ولو عيلتك بالبيت جايعة
تصبح ظنونه باسفل الشط جازعة
لو تعب بالأول تثمر ترابعه
وأسمع من اللي بالحمول مترابعة
والا الحتوف حتوف ما هي بنافعة
مثل الجددي وسهيل مبعد مطالعه
وان كان تقدر تضربه فوق سابعه
والقلب فيه الضيق بأجمع رواضعه
خل الحزام موثق في نعانعه^(٣٥)
عليك بالجلمود وسط مفالعه
نزل عليهم كندل من مشالعه^(٣٦)
قم وارمهم بمقبس من مدافعه
احفر لهم بير طويل مباوعه

(٣٤) مشالعه مكان اجتثاثه . . وعند العامة شلع السن خلعه، لعلهم أخذوا ذلك من الشكع وهو الوجع فسرت العامة إلى اللفظ والمعنى.

(٣٥) سابعه: الأبر.

(٣٦) الشطر الأول مختل الوزن ولعل فيه تصحيحاً.

النعانع لها معاني في الفصح من مادة نع ولست أدري ما المقصود هنا، وطول القافية يضطر الشاعر إلى اختراع الألفاظ.

(٣٧) كندل: نبات الكندلي (الثورة).

واليا كويت الكي نجح عروقه
من قلط الدنيا على كل عايل
ترى القضا ييرد لهيب الغلايل
خله يروح بخاطره كل طاري
من جا حوال النار طاله سناها
والخامسة احرص على طلب رزقك
من تعب ربح وتاعب السوخاسر
والرزق لو ياتي بحيل وقوة
أما تصيب الرزق ما جاك عاني
من ضيعه والرزق ياتيه راغم
والرزق يحتاج السبب لو تعطل
الطير يطوي بالوكر كل ليلة
المال ثوب العز في كل ساعة
والمال تاج وكثرة الصمت حكمة
يرفع عيال البوم في رأس عيطا
والسبع وإن مر الكلاب النواج
تمت وصلى الله على سيد الملا

تسكن عقب ما هي بالأوجاع رامعه
أصبح بعز فوق الأنذال رافعه
توفي ضديك جمرة في مضاجعه
أكرم على السامع غدر به مطاقعه
يضي في عليه لسانها ما تطاوعه
تذوق عقب الكرة لذة مجامعه
ما خاب من يتعب مفاصل مذارعه
كان السباع شباع والضأن جايعة
لو كان عندك زاهبات مواقعة
لو هو نهاية صار حظ الطمامعة
ولا تقول السيل ينسى مناقعه
والصبح يلقي الرزق عجل يسارعه
فصح شجاع وافي العقل جامع
والباقية يا ناس توفي ورايعه
من عقب ما هي بالخراب متواضعة
لو بلبصت له عوج الأذنان تابعة
على نبي واضحات شرايعه



قصيدة ابن قويفل على قافيتي الدال
بوصل الهاء وقافية الفاء

وقال ابن قويفل في آل شعلان^(١):

يا مزنة غرا تقافى رعدھا	تمطر على دار الدريعي ونايف
خله على الوديان تذهب ولدها	بديار مكدين الأمهار العسايف
تملا الخباري للدريعي يردها	بقطعان عجلات على الماء زهايف
يا ذيب يا شاك من الجوع عدها	كان أنت لرماح الشعالين ضايف
تلقى العشا صفرا صخيف جسدها	من كف ستر معطرات العطاييف
وكم سابق بالكف عاقوا جهدها	مضرايها بالجوف ما هو مسايف
من كف شغموم ورد من هددها	أو شايب شبيه من الخيل هايف
كم قالة قفوا بها ما بعدها	راح يتولاها الدريعي ونايف
حالوا وراها ودونها هم لدها	وقد عوضوا طلابها بالحسايف
تنشبت ما أحد يحلل عقدها	ومن دونها يروون بيض الرهايف

□ □ □

(١) أبطال من الصحراء ٢٤١/١ - ٢٤٣ وقد مر له قصيدتان.

- ٧ -

ثبت بأسماء المصادر

[مرتب على حروف المعجم بالإضافة إلى الرواية الشفوية]

- ١ - الأدب الشعبي في جزيرة العرب.
لعبدالله بن محمد بن خميس.
ط م الرياض عام ١٣٧٨هـ.
- ٢ - الأزهار النادية من أشعار البادية
نشر محمد سعيد كمال.
- ٣ - أبطال من الصحراء.
لمحمد الأحمد السديري.
ط م دار الكتب ببيروت - الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨هـ.
- ٤ - الأمثال العامية في نجد.
لمحمد بن ناصر العبودي.
ط م الأهلية للأوفست - نشر دار اليمامة.
- ٥ - أنوار الربيع في أنواع البديع.
لعلي بن صدر الدين بن معصوم.
ط م النعمان بالنجف عام ١٣٨٩هـ.
- ٦ - البادية.
لعبدالجبار الراوي.
الطبعة الثالثة.
- ٧ - بلاد الجوف.
لسعد بن عبدالله بن جنيذل.
ط م الأهلية للأوفست - نشر دار اليمامة.
- ٨ - بلاد القصيم.
لمحمد بن ناصر العبودي.
ط م دار اليمامة عام ١٣٩٩هـ.

- ٩ - تاج العروس من جواهر القاموس .
لمحمد مرتضى الزبيدي .
تصوير مكتبة الحياة ببيروت .
- ١٠ - التحفة الرشيدية في الأشعار النبطية .
لسعود بن سند بن سيحان .
ط م الرسالة بالكويت .
- ١١ - تحفة العقلاء في القهوة والثقلاء .
لعبد العزيز بن محمد الأحيدب .
الطبعة الأولى عام ١٣٩٠ هـ .
- ١٢ - تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان .
لإبراهيم بن عبيد العبدالمحسن .
ط م مؤسسة النور .
- ١٣ - التقريب لحد المنطق والمدخل إليه لأبي محمد بن حزم .
تحقيق د . إحسان عباس - ط دار العباد .
- ١٤ - جريدة الجزيرة السعودية .
- ١٥ - الخريطات .
لعبدنان عطار .
لم تذكر هوية الطبعة .
- ١٦ - ديوان ابن صقيه التميمي ج ٢ .
[مقدمتي له] .
صدر عن جمعية الثقافة والفنون السعودية .
- ١٧ - رحلات في بلاد العرب - في شمال الحجاز والأردن .
لعاتق بن غيث البلادي .
نشر دار المجمع العلمي بجدة .
- ١٨ - رحلة إلى بلاد نجد .
للبيدي آن بلنت - ترجمة محمد أنعم غالب
نشر دار اليمامة الأولى عام ١٣٨٦ هـ .

- ١٩ - روائع من الشعر النبطي .
لعبدالله اللويحان .
ط م المدني .
- ٢٠ - شاعرات من البادية .
لعبدالله بن محمد بن رداص .
ط دار اليمامة .
- ٢١ - الشعر عند البدو .
للدكتور شفيق الكمالي .
ط م الإرشاد - بغداد .
- ٢٢ - الشعر في البلاد السعودية .
لأبي عبدالرحمن بن عقيل .
ط م الإشعاع - نشر دار الأصالة .
- ٢٣ - الشوارد .
لعبدالله بن خميس ج ٣ .
ط دار اليمامة عام ١٣٩٧هـ .
- ٢٤ - عالية نجد .
لسعد بن عبدالله بن جنيدل .
ط دار اليمامة عام ١٣٩٩هـ .
- ٢٥ - عشائر العراق .
للمحامي عباس العزاوي .
ط م بغداد سنة ١٣٦٥هـ .
- ٢٦ - الفنون الشعبية في الجزيرة العربية .
لمحمد الثميري رواية محمد الضويحي .
ط م العمومة بدمشق سنة ١٣٩٢هـ .
- ٢٧ - في شمال غرب الجزيرة .
لمحمد الجاسر .
ط دار اليمامة عام ١٣٩٠هـ .

- ٢٨ - قاموس العادات . اللهجات والأوايد الأردنية .
لروكس بن زائد العريزي .
ط م القوات المسلحة الأردنية سنة ١٩٧٣م .
- ٢٩ - القبائل العربية وسلالتها في بلادنا فلسطين .
لمصطفى مراد الدباغ .
ط دار الطليعة ببيروت عام ١٣٩٩هـ .
- ٣٠ - كراسات الشيخ منديل الخطية .
- ٣١ - الكنايات العامة .
لأحمد تيمور .
ط م الأهرام - الطبعة الثالثة .
- ٣٢ - الكناية والتعريض .
لأبي منصور عبد الملك الثعالبي .
نشر مكتبة دار البيان ببغداد ودار صعب ببيروت .
- ٣٣ - كنز الأنساب وجمع الآداب .
لحمد بن إبراهيم الحقيقل .
الطبعة الثالثة عام ١٣٩٣هـ .
- ٣٤ - كنز من الماضي .
لشاهر محسن الأصقعه .
ط م مساعد السارك - الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ .
- ٣٥ - اللغة العربية بين القاعدة والمثال .
لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري .
ط م الفرزدق سنة ١٤٠١هـ .
- ٣٦ - المجاز بين الإمامة والحجاز .
لعبدالله بن خميس .
ط دار الإمامة عام ١٣٩٠هـ .
- ٣٧ - المجتمع البدوي الأردني .
للدكتور أحمد الخشاب .
ط جمعية عمال المطابع التعاونية بعمان سنة ١٩٧٤م .

- ٣٨ - مجلة التراث الشعبي العراقية.
- ٣٩ - مجلة العرب.
- ٤٠ - مجلة الفن الكويتية.
- ٤١ - مجلة لغة العرب العراقية.
- ٤٢ - معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة.
لفالح حنظل.
ط مؤسسة دار الفكر - أبو ظبي.
- ٤٣ - المعجم الذهبي.
للدكتور محمد التونجي.
ط دار العلم للملايين.
- ٤٤ - معجم قبائل الحجاز.
لعاتق بن غيث البلادي.
نشر دار مكة عام ١٣٩٩هـ.
- ٤٥ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة.
لعمر رضا كحالة.
ط مؤسسة الرسالة بيروت.
- ٤٦ - معجم قبائل المملكة.
لحمد الجاسر.
صدر عن النادي الأدبي بالرياض.
- ٤٧ - مقاييس اللغة.
لأبي الحسين أحمد بن فارس.
الطبعة الأولى سنة ١٣٦٦هـ - ط م الحلبي
تحقيق عبدالسلام محمد هارون.
- ٤٨ - معجم اليمامة.
لعبدالله بن محمد بن خميس.
ط م الفرزدق عام ١٣٩٨هـ.

- ٤٩ - من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية .
لمنديل بن محمد الفهيد .
ط دار اليمامة عام ١٣٩٨هـ .
والجزء الثاني ط م الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٤٠٢هـ .
- ٥٠ - من أحاديث السمر .
لعبدالله بن خميس .
ط م شركة حنيقة للأوفست .
- ٥١ - المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب .
لعبدالرحمن بن حمد بن زيد المغيري .
ط م الإسلامي للطباعة عام ١٣٨٤هـ .
- ٥٢ - نسب حرب .
لعاتق بن غيث البلادي .
ط دار المعارف عام ١٣٩٧هـ .

□ □ □